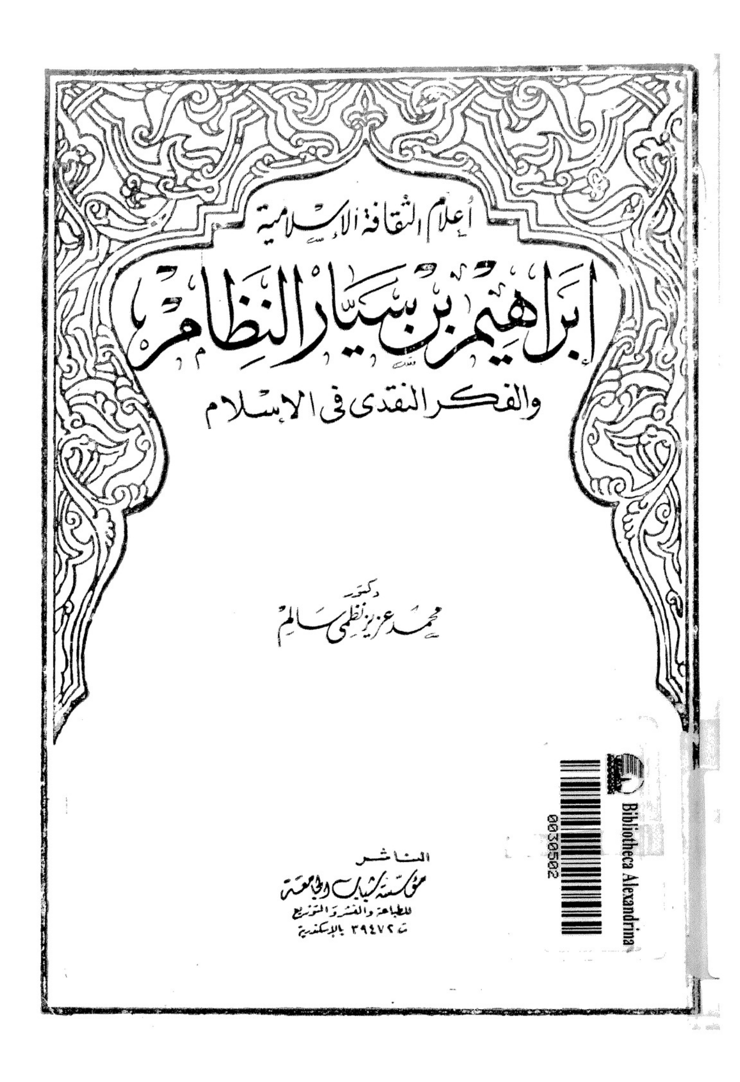


أعلام الثقافة الإسلامية
ابراهيم بن سيار النظام
والفكر النقدي في الإسلام
دكتور
محمد عزيز نظمي سالم
الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٣٩٤٧٢ بالإسكندرية
Bibliotheca Alexandrina
0030502

أعلام الثقافة الإسلامية



تأليف

دكتور
محمد عزيز نظمى سالم

١٩٨٣

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٣٩٤٧٢ إسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى :

وأصلي على نبيه المصطفى .

وأبدأ هذا البحث مستعينا بالله ، ومستمدا التأييد والتوفيق منه ، وسائله إياه أن يسدد خطانا ، ويجعل غايتنا خالصة لوجهه .

ونسأل الله التوفيق والهداية ... ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ،

محمد عزيز نظمى

وبعــــد :

فهذه أطروحـة فى النسق العقلى للمفـكر المعتزلى الذائـع الصيت « ابراهيم بن سيار النظام » وهو من الشخصيات البارزة فى الحضارة العربيـة ، جمعت مايتصل بتلك الفترة التى عاشها النظام وأملت عليه فلسفته ومنهجه فى ربط للمسائل الفكرية التى تعرض لها من تراثنا الفكرى والحضارى . وقد إمتـاز بميزة التعدد والتركيز والربط بين مجالات الفكر الدينى والعلمى والأخـلاقى ، فتميز عن سائر المفـكرين بميزة لانجدها عنـــد طبقته من المفكرين ، وعالجت فى الدراسة ، تلك المسائل الأساسية التى بحثها فى الدين ومشكلة الألوهية ثم الطبيعة ، ومشكلة الخلق والعالم ، وأخيرا مشكلة الأخلاق الانسانية والقيم .

ومن خلال هذا البحث المتواضع تبينت هـذا المفكـر العملاق الذى صاغ فلسفته صياغة منهجية بروح نقدية مستنيرة فى نسق عقلى مترابط .

وأحمد الله حق حمده الذى وفقنى على اتمام البحث بهذه الصورة .

وقد رجعت فيه إلى أهم المصادر العربية والمترجمة وبعض المصادر الأجنبية .

وعلى قمـة هذه المصادر « كتاب الله العزيز » . وإنى أتقدم بهذا السفر وأسأل الله أن يولينى العون والرشاد ، وأن يحقق النفع المرجو . والسلام .

مقدمة تاريخية ومنهجية

ولد النظام (٢٢٠ ﻫ) فى الحقبة الزمنية التى شهدت أكبر وأوسع اتصال ثقافى ، كانت هى حركة الترجمة والنقل والتأليف ، ومات وخلف وراءه تراثا فكريا جعله من طلائع ورواد المفكرين . وقد أرخ لحياته الكثير من القدماء ومن المحدثين .

ولم يكن ابراهيم بن سيار النظام كغيره من شيوخ المعتزلة . بل خرج لنا بمذهب وبفلسفة جعلته رائدا من رواد الفكر وإماما للنظامية التى بعثها من بعده تلميذه المخلص الجاحظ .

ونحن نعلم بلا شك ذلك الأثر الذى تركه الجاحظ (١) فى ٢٤٠ ﻫ ميادين الأدب والعلم والفلسفة . والنظام حين يكتب مفكر مؤمن وقد يبدو التناقض للوهلة الأولى ، ولكن الأمر يتضح إذا ماتلمسنا أى التيارات الفكرية يتبعها .

ولا يمكن أن ندرس النظام دراسة تاريخية فحسب ، لأننا بهذا نغفل فكره وفلسفته ومنهجه .

وعلى هذا يجدر بنا أن نتلمس أفكاره من خلال ما كتب وما ترك من نصوص ذات أهمية كبيرة ، وما ذكره الرواة وأصحاب الكتب المعتمدة فى تاريخ الحكماء والعلماء والمفكرين حتى نتبين من ذلك فكره ومنهجه بفضل التحليل والربط بين آرائه فى المسائل التى عالجها وبين طبيعة المشاكل ذاتها وأحداث العصر التى عاشها النظام .

---

(١) طه المدور فى كتابه « بين الديانات والحضارات » طبعة بيروت ١٩٥٥ صفحة ١٢ الفصل الثانى .

و لعلها الطريقة التى تحقق الدراسة الموضوعية بصدد البحث فى النظام فلسفته ومنهجـــه وعصره وآثاركل منها . ودراسة الوسط الاجتماعى والسياسى الذى عاش فيه النظام من الأهمية بمكان .

فالمفكر كائن اجتماعى لا يمكن فهمه الا فى المجال الدينى والفكرى والعلمى الذى نشأ فيه وساهم فى تطويره (١) .

والمجال الدينى والفكرى والعلمى أجزاء من الوسط الاجتماعى والتاريخى فى والنسيج الحضارى لأية أمة من الأمم .

فإننا نجد أن مايشغل النظام فى حياته وفى فكره ، بل مكان يشغـــل المعتزلة وغيرهم من الطوائف الإسلامية • مشكلة الأخلاق الانسانية والاستطاعة الانسانية والعمل الانسانى والحرية والاختيار عند الإنسان والمسئوليـة الفرديه والجماعية بصدد مشكلة العدالة فى الحق الملكى المقدس والخلافة والخـــير والشر والثواب والعقاب والظلم والارادة .

كما كان يشغل بال المفكرين مسألة المعرفة الإنسانية وحدودها ولم يكن هـذا الجانب من المشكلة الإنسانية كل مايشغـل النظام أو غيره من المفكـرين . بل أن المشكلة الالهية قد أخذت بأكبر نصيب من الاهتمام لوثيق صلتها بعلم الإنسان بالقدر والجبرية والحتمية والخير والشر والقدرة والعلم والمعرفة . وسيـلة المعرفة والمسئولية الالهية والعدل الالهى وفعل الأصلح • والظلم والثواب والعقـــاب والخلق والتكوين والادلة العقلية (٢) وطبيعة العلم والمعرفة والقـرآن والاعجـاز والنسخ . وكلها مسائل يمكن ردها إلى الصلة بين عالم الدين وعالم الدنيا، إلى العلاقة

---

(١) بوليتزير ترجمة المهدوى فى كتاب أسس الفلسفه جـ ١

(٢) فلسفة المعتزلة د: البير نصرى ٢٨

بين الله فى عليائه وسمواته وبين الإنسان فى العالم والمجتمع (١).

إن الفلسفة المعتزلة بالرغم مما كتبه الدارسون والمستشرقون أخص منهم جولد تسهير، فى كتابه الشهير (العقيدة والشريعة فى الإسلام) غير أن هذه الدراسات قد ألقت بعض الأضواء الخافظة دون تناول الفلسفة المعتزلية فى ضوء منوهج راق ينتمى إلى تيار الفكر النقدى فى الإسلام بروحه الجدلية. ومن خلال عرض طرز وأنماط الفكر الأصولى لتبين أمرا جوهريا، هو أن فلسفة الأديان. وفلسفة الأخلاق وفلسفة التاريخ وفلسفة الاجتماع وفلسفة العمران البشرى وفلسفة السياسة وفلسفات العلوم قد عرفت من خلال البحوث والدراسات والحلقات الفكرية المعتزلة والأصولية والجدلية والعلمية (٢).

وهذه الألوان العديدة من الفكر والمعرفة وطرائق البحث ومناهجه وجدت من خلال البحث فى مشكلة الألوهية والمشكلة الإنسانية.

ومن أهم المسائل التى عنى بها المعتزلة والأصوليون، التوحيد والعدل. وعرفوا بأصحاب العدل وبأهل التوحيد(٣) وهذه التسمية تلقى بعض الضوء على موضوعات الفكر الإسلامى خلال تلك الحقبة الزمنية(٤).

---

(١) الخياط فى الانتصار فى رده على ابن الروندى.

(٢) مقدمة ابن خلدون من كتابه العبر والمبتدأ والخبر فى أخبار العجم والبربر ومن صاحبهم من ذوى السلطان الأكبر.

(٣) ديبور فى كتابه (تاريخ الفلسفة) ترجمة د. أبو ريدة.

(٤) محمد عبده فى رسالة التوحيد.

الحياة الفكرية فى عصر النظام

ولد النظام فى (*)أزهى العصور الثقافية وأبرزها فى تاريخ حضارة العرب والمسلمين . واسم النظام الكامل هو ابراهيم بن سيار بن هانىء البصرى المعروف بالنظام ، ويكنى أبا اسحاق ، وقيل أنه من الموالى . وقد فرقت البحوث بين الموالى ودورهم فى الحضارة والدولة الاسلامية وبين موقف الشعوبية . المهم أن ابن حزم وابن نباته وطاش كبره زاده وابن المرتضى والقاضى عبد الجبار والشهر ستانى والبغدادى والاسفرائيينى والأشعرى والخليل بن أحمد والخيـاط وابن الروندى وابن نباته، قد تنبهوا إلى تاريخ حياته وشغلتهم شخصيته وسيرته ومدرسته خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى وتأثرت به المدارس والجوامع الفكرية والأدبية والدينيـــة .

فابن (حزم الأندلسى) يعده من أعظم الرجال المعتزلين اطلاقا ونحن نعلم أن ابن حزم كان بمثابة رسول الثقافة الاسلامية وللحضارة العربيـــة فى الأندلس بأوربا ، وليس بمستغرب أن ينقـل عن النظام بعض آرائه إلى المراكز الثقـافية بالاندلس . وابن نباته يذكر أنه من كبـار المعتزلين وأئمتهم ويتفق ابن المرتضى وعبد الجبار فى القول بتفرده ونبوغه وعبقريته فى العلم ، أما تلميذه المخلص الجاحظ فلقد اعتبره عبقرى زمانه الذى يجىء كل ألف سنة . كما رأى الخليل بن أحمد فيه النبوغ والمعرفة منذ كان غلاما يانعا .

ولقد شغلت شخصيته عددا من الدارسين والمستشرقين الذين أدلوا بآرائهم

(*) عام ٢٢٠ هـ (٧٦٠م) .

لبيان منزلته الفكرية نخص بالذكر ديبور وجولد تسهير (١) .

وأرنولد روما سينيون واوريلى . فالأول يعتبره أول رواد المدرسة الفلسفية الاسلامية الأصيلة ، وذلك لأنه أقام مذهبا أو نسقا فلسفيا يقوم على أسس متصلة مترابطة . وقد أشارت بعض الدراسات والبحوث الحديثة . فى ميدان الفلسفة الاسلامية والعلوم العربية إلى منزلة النظام من الفكر الإسلامى وقيمته العلمية الأصيلة كما يشهد بذلك الأستاذ الدكتور على النشار .

وكان مولد النظام فى الحقبة الزمنية التى عاصرت الحركة الثقافية المسماة بحركة الترجمة والنقـــل والتأليف التى كانت عن قرب بالمعارك الفكرية والأزمات والصراعات الثقافية بشتى تياراتها .

فقد ذكر النظام فى موضوع عن ابن المرتضى أنه قال ، أن العلاف (٢) الذى أخذ عنه الاعتزال أنه لم يكن متشاغلا قط إلا بالفلسفة والحكمة لنصرته فيـــه وخدمته فى المناظرة منه .

وحين نعلم أن العصر الذى سبق النظام قد حفل بالترجمات عن ثقافات الأمم الأجنبية ، يونانية كانت أو هندية أو عبرية أو سريانيـــة وأن موقف أستاذه (العـــلاف) كان موقف المدافع عن الدين ، كان لابد أن يسير النظام على نهج أستاذه الذى خاض غمار المعركة الفكرية مع المجوسية والثانوية والدهرية والملاحدة وغيرها من القوى الفكرى والنزعات الشعوبية التى كانت تعمل على تقويض الدين كما ذهب إلى هذا الرأى الاستاذ على مصطفى الغرابى صاحب كتاب أبو الهزيل العلاف.

---

(١) جولد تسهير فى العقيدة والشريعة .

(٢) العلاف وللاستاذ على مصطفى الغرابى .

وإن شئت فقل أن الحركة التي توهجت أبان عصر الترجمة والنقل قامت بتغيير جذري في الثقافة ، ولو أنها قد اتسمت بالتراجعية إلى الدين والبحث المعرفي في العقائد (١). وإن كانت تشبه حركة الردة في الدين أيام الصحابي الكبير أبي بكر ، فقد ظهرت الحركة الثانية خلال فترة الاهتزاز الثقافي من جراء الاتصال بثقافات الأمم الأخرى وبفعل التيارات الإسلامية وغير الإسلامية التي احتكت ببعضها ، فصدر عنها تيار نقدي في الفكر الديني هو التيـــار المعتزلي ليقف أمام التيارات المناوءة للدين . فكان قفل باب الاجتهاد والجمود اللذان عوقا من النظر في أمور الدين والدنيا عاملان من العوامل التي وقفت أمام التيار المعتزلي .

ولا شك في أن التيـــار المعتزلي رافد من روافد حركة كبرى هي حركة الأصوليين والسنة الذين حملوا لواء السلف والموافقة والزود عن الدين ، والذين مثلوا التيار الانشائي البناء في الفكر الاسلامي ، فقد قاموا بحركتهم على حلقتين ، الحلقة الأولى إرادة جديدة لهدم وتحطيم وثورة على أصنام ومعالم الفكر والفلسفة والعلوم القديمة ممثلة في أرسطو والثقافه الأجنبيـة . ثم أراد إنشاء وخلق وابداع وبناء لصرح الفكر الإسلامي كمقوم للحضارة العربية الناشئة (٢) ممثلا في الاتجــاه العقلي والاتجاه النقلي أروع تمثيل وتوافق واتساق .

وليست هذه المحاولة تلفيقية في شيء . كما إتجــه بعض الدارسين إلى تفسيرهــا ولكن هي محاولة واعية لفهم الإسلام ومقوم العقيدة في حضارة العرب لتحقيق الغايات العملية والأخلاقية في ميدان الحياة الدنيا والآخرة .

---

(١) الغـزالي في ذكراه — بحث الدكتور محمـــد ثابت الفندي عن فلسفة الأديان .

(٢) الدكتور أبو العلا عفيفي في كتابه المنطق التوجيهي المقدمة .

ومن خلال النقود الموجهة إلى أرسطو والقوالب المذهبية القديمـــة التى لم يرتضيهـا الفكر الأصولى والجدلى الملى نجد رواد هذا الفكر الإسلامى ينقضون على أرسطو بحوثه وكتبه ومنطقه .

فنرى النظام مثلا يذكر لجعفر بن يحي البرمكى ، أنه نقض على أرسطو كتابه».

هذا مثال نتناوله بالتفصيل فى حديثنا عن النظام وتوجد غيره من الأمثلة التى هاجمت الفكر والفلسفة اليونانية والارسطية فى ذاتهـــا وفى طرائق ومناهج البحث فيها. فنجد مجامع العلماء من ناحية والجدليون من ناحية أخرى والاصوليون الفقهاء والمتكلمون يوجهون ضرباتهم إلى أرسطو(١) قلب الفكر اليونانى ويوسعونه نقدا وينبذون طرائق بحثه ومعرفته . ولا عجب أن تصدر هذه الحركة المناوءة كرد فعل للتوغل الثقافى الأجنبى ابان حركة الترجمة والنقل . وقد شهدت عصور الترجمة والنقل هذه الصراعات وهذه التيارات والاحتكاك الثقافى الذى حدد معالم الثقافـــة والتراث الفكرى للعرب والمسلمين ، وكان لرواد الفكر الاسلامى والعربى الأثر فى بلورة التراث على حقيقتة ، مع تنقيته من الشوائب الخارجية التى علقت به .

وعلى العموم نجد أن للمدارس الفكرية الإسلامية والعربيـة قد لفظت الثقـافة اليونانية الدخيلة كما أنها وقفت أمام التيارات المناوءة والشعوبية فى الإسلام . وقد حفظت هذه المدارس الفكرية والمجامع الفلسفيـــة والعقائدية حفظت مزاجها الحضارى (٢) وطابعها وشخصيتها الفكرية وأكدت السمات الحضارية والثقـافية للامة العربية الإسلامية .

---

(١) ابراهيم بيومى مدكور فى كتابه الفرنسى عن أرسطو عند العرب .

(٢) دكتور على سامى النشار فى مناهج البحث عند مفكرى الإسلام .

والذى نخرج به من عصر النظام ، أنه فترة التقت فيها روافد الثقافات العربية والإسلامية وغيرها من ثقافة الأمم ، وكانت متفرقة متصارعه على مسرح المجتمع، فكانت فترة متعبة متعددة الألوان والأنماط والطرز الفكرية . وكان الربط والدفاع مسئوليته مفروضة على المفكر الحر . وكانت فترة من البحث عن اليقين والايمان تلت المنازعات والازمات على الخلافة والحكم فترة من النضال والدفاع عن الدين وعن الحرية الإنسانية التى منحها الله لعباده ، وعن العدالة السماوية والحق فى عالم السموات وفى عالم الأرض .

وكان الورع والتقوى والصداقة بين القوى المتنازعة أمرا اجتماعيا (١) مفروضا على المفكر الذى يحاول أن يوجد الجبهة الدينية أمام القوى المناوءة وفى ذات الوقت يدافع ويناضل من أجل الدين .

وكانت الفترة التى يعيشها النظام فترة عصبية متنازعة ، تحفل بالصراعات السياسية والاجتماعية والطائفية والدينية ، فترة فى حاجة إلى ملهم للامة يخاطب عقلها كما يخاطب قلبها ، يمنحها مزيدا من الثقة فى الايمان بالرسالة ودليلها العقلى ، كما يعطيها مزيدا من الفكر والحرية والمسئولية للبحث والمعرفة والكشف ثم يربطها فى كل متجانس متسق يقف به أمام العقلانية المغالية والظاهرية (٢) المغالية وبين الذوقية المغالية وبين الدهرية المغالية : دوره أن يجمع الأضداد والأطراف فى وسط عادل وفى مذهب متسق .

ولهذا اختص النظام بمميزاته التى ربطت بين المتناقضات فى كل متجانس فى

---

(١) خالد محمد خالد من هنا نبدأ .

(٢) دكتور محمد يوسف موسى فى كتابه ابن تيمية .

حركة مستنيرة فى الفكر . . حركة نقدية تمثلت فى حركة الاعتزال، وترك مدرسة عظيمة الشأن ومذهبا فلسفيا عميق الأثر باسم النظامية .

والتى ظهرت فى حركة محددة باسم الأشعرية ولكنها كانت حركة نقدية من نوع آخر على الرغم من الصلة الوطيدة بين المعتزلة والأشاعرة ، فقد كانت من جهة أخرى المرجئة كطرف من أطراف الحركة الفكرية فى الإسلام وتأدت بها إلى القول بقفل باب الاجتهاد الذى أعتبر نكسة للفكر العربى الاسلامى .

ونقول أن الحركة النظامية التى نجمت عن الاعتزال ، حركة لا يمكن أن أن نفصلها عن حركة الاصلاح الدينى والأخلاق والسياسى فى الإسلام فى المجتمع العربى اللسان والبيان والقرآن. ولا يمكن ان نفصلها عن حركة البعث والاستنارة فى الفكر الإسلامى والحضارة العربية .

وحين يختلف الدارسون فى منزلة النظام فانهم يؤكدون وجوده على مسرح الفكر الإسلامى فى الحضارة العربية (١).

فنهق المداحين له ومنهم القداحين فيه ، ولكن المتفق عليه أنه قد ترك أثره الواضح فى هؤلاء وأولئك . فالجاحظ يحفظ له الود (٢) والدوائع والمجامع المعتزلية والشعوبية أيضا تكن له الود ، كما أن مهاجميه قد تأثروا به . فنرى ابن حزم الأندلسى وأصحاب الظاهرية ، وغيرهم من أهل السنة كالباقلانى وإمام الحرمين والغزالى وفخر الدين الرازى يسوقون ذكره . وحسبنا من هذا أن نتبين أن مادار حوله يؤكد الاعتراف بمنزلته الفكرية فى تاريخنا الحضارى وتراثنا الثقافى العريق .

---

(١) أرسطو عند العرب د. عبد الرحمن بدوى .

(٢) الجاحظ فى البيان والتبيين .

فقد نال النظام حظا وافرا من العلوم اللغوية والأدبية وقد برع فى علم الفقه وفى علم الكلام ودرس الديانات السماوية وحفظ القرآن والانجيل والتوراة ، وكان على دراية بعلوم الحديث . والثابت أنه كان يجيد اللغة العربيه قراءة وكتابة ويقال أنه كان على علم باللغة اليونانية لمعرفته بفلسفة اليونان وبمصنفات أرسطو فقد نقض لأرسطو كتابه أو أنه عرف ترجمته من خلال نقاشه مع المسيحيين والرهبان . والنظام قد عاصر خلافة الرشيد . ثم خلافة المأمون ثم خلافة المعتصم ، ويذكر ابن المرتضى عنه « مارأيت أحدا أعلم فى الفقه والكلام منه وكان حافظا للقرآن والانجيل والتوراة . . مع كثرة حفظه للاشعار والأخبار واختلاف الناس فى الفتيا » .

ويتفق ابن نباته والشهرستانى فى أنه طالع كتب الافلاطونية والثانون فى تثبيت صلة النظام بالمذاهب الشرقية والأفلاطونية والثانوية بقوله (١) « إن النظام يغشى مجالسهم . . وكانوا يقولون بتكافؤ الأدلة ، ومعنى التكافؤ أن الأدلة والبراهنة ممكنة ومتساوية » . ويضيف البغدادى أيضا « النظام تردد فى شبابه على مجالس الفلاسفة الملاحدة ، وأخذ عنهم القول بابطال الجزء الذى لايتجزأ » .

ويمكننا أن نفسر الموقف السابق فى ضوء مراحل تطور النظام العقلى خلال سنى طلبه العلم ، فكان لا بد من أن يقف على آراء وتيارات الفكر المختلفة التى سادت عصره . وأما قوله عن الجوهر الفرد فقد دعته الضرورة الدينية وإحاطة الله بكل كبيرة وصغيرة فى هذا العالم ينبذ الكون فى التصور العقلى للمكان والزمان. لأن فكرة الخلق وفكرة القيامة والبعث أفكار محددة ومبادىء يقوم عليها الدين أما قوله بالطفرة فانه أخذها عن منطق التطور والتغيير فى عالم الطبيعة وعالم المجتمع.

---

(١) البغدادى فى « الفرق بين الفرق » تحقيق « على سامى النشار طبعة القاهرة .

ودعوى البعض أنه أخذ عن الثانوية أنه فاعل العدل لايقدر على الجـــور والـكذب ليس مصدره الثانوية بل مصدرها الكتاب المنزل وما ورد فيه من آيات كريمة تسير إلى هذا المعنى .

فالمعروف أن النظـام صاحب هشام بن الحكم الرافض الشيعى ويبدو أنه تأثر ببعض الآراء الشيعية التى امتزجت بالمذاهب الشرقية من مانويهوزراد شتيه وأفلاطونية وهرميسية حين تعرض لمسألة النبوات وحين تنـاول مسألة اعجـاز القرآن(١) وقد يكون أيضا تأثر باخوان الصفا لصلتهم بالباطنيـــة وبأصحاب الجدل والمنطق .

وكأننا نجـد حقبتين زمنيتين عاشها النظام بعـــد عهـد الطلب والدراسة ، والحقبة الأولى تمثلت فى تيار الفكر المعتزلى النقدى والحقبة الثانية تمثله وقد مال إلى مذهب أهل الشيعة لمصاحبته ولصلته بدوائر الشيعة . غير أنه ختم حياته العلمية والدينية والفلسفية بزهد وورع وتصوف عقلى وروحى .

وعلى هذا فحياة النظام صورة لعصوره التى عاش فيـــه وهى بمثابة حلقات تطورية وتحويلية فى فكره . غير أننا نجد المرحلة الذهبية النامية من فـكره تتجلى وتزدهر عندما قام بمحاولته المذهبيـة لوضع نسق مترابط وفلـسفة كليـة تتناول المشكلة الإلهية والمشكلة الإنسانية أى مشكلة التوحيد والأخلاق .

وقد يبدو أنه تأثر تأثيرا خفيا بالفلسفة الأخلاقية (٢) عند الرواقيـة ولـكنه

---

(١) تاريخ الإسلام السياسى والثقـافى والاجتماعى والدينى فى العصـر السياسى الثانى للاستاذ حسن ابراهيم حسن .

(٢) نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام دكتور على النشار .

أخنى هذا الأثر أو أن طبيعة موضوع البحث أو المشكلة الاخلاقية عند الرواقية تتشابه والمشكلة الأخلاقية عند النظام ·

ضمن النظام ثقافة عصره، وخرج منها بمذهب فلسفى دقيق فيه طرافة وجدة، يزود عن الاسلام ويناضل من أجل اقرار الايمان بوحدانية الله وبحرية الإنسان فى ظل عدالة سماوية واجتماعية .

لقد كان دوره كدور المدافع عن قضيـــة الفكر والعقيدة الاسلامية والعامل الذى عمل على تصعيد الفكر المعتزلى إلى دور الصياغة المذهبية .

مصنفاته وكتبه :

يحصى المؤرخون كتاباته فيما يلى (١) :

١ — الجزء الذى لا يتجزأ .

٢ — مقالته الخاصة بالاجسام .

وقد ذكره الأشعرى أنه قال « لا أدرى ما السكون ، إلا أن يكون يعنى كان الشىء فى المكان وقتين أى تحرك فى لحظتين «كما أن للاجسام حركة اعتماد» .

٣ — الثانوية ويورد ذكره البغدادى عن النظام وينقده .

٤ — التوحيد ويذكره الخياط فى اثبات وجود الله ببرهان الحركة .

٥ — العـــالم .

٦ — نقض أرسطو طاليس .

---

(١) ديبور . تاريخ الفلسفى فى الإسلام دكتور أبو ريده .

ولم يكن النظام بمنأى عن التهم الهرطقية التى وجدت إليه واتهامه فى دينه وفسقه وفجوره، ولكن هذه التهم كانت تلق جزافا من الحلقات الفكرية المعارضة له والتى وظف نفسه وجهوده دفاعا عن الدين دفاعا مشرفا، وقد حلت به تجربة صوفية ذوقية، يذكرها عرضا ابن المرتضى حين يورد نصا من الأهمية بمكان يقول فيه النظام . . اللهم ان كنت تعلم انى لم أقصر فى توحيدك، اللهم ولا أعتقد مذهبا إلا سنده التوحيد، اللهم ان كنت تعلم ذلك فاغفر لى ذنبى وسهل على سكرة الموت، ويحكى أنه مات لساعته وذلك لصدقه وورعه وصلاحه .

المنهج عند النظام

نتناول المنهج باعتباره مدخلا لفلسفته التى ربطها فى نسق على منطق ونتبين من خلال المنهج النظامى مرحلتين :

١ — مرحل العقل والشك .

٢ — ومرحلة التجربة والايمان .

فالنظام ذو عقلية وبصيرة ويستند إلى الركنين الأساسيين للبحث فى المعرفة والفلسفة الدينيـة على العقل والتجربة أو بمعنى آخـر على الشك والإيمـان ، ففى المرحلة السلبية يقف العقل شاكا متشككا وفى المرحلة الايجـابية تكون البينـة والتجربة خير دليــل ، وقد قال ، الشاك أقرب إليك من الجاحـد . ولم يـكن يقين قط حتى صار فيه شك . ولم ينتقل أحد من النقاد إلى غيره حتى يكون بينهما حال شك » .

وقد جرى هـذا المنهج على لسان أبى هاشم البصرى من « أن الشك ضرورى لكل معرفة » .

واضح أن النظـام استعان بالتجربة وقد جاء فى كتــاب الحيوان للجاحظ وهو تلميــذ النظام ومن مدرسته الفكرية أن ذكـر تجارب كثيرة للنظام فى الحيوان وغير الحيوان . وهى أمثلة للدراسات والبحوث العلميـة والتجريبيـة التى تقوم على المنطق العملى .

ويرى النظام أن العلم عملية تعقل لـكتب المنتقاه وليس حشوا للمعلومات فى

الذهن وقد صار تلميذه الجاحظ على هذا المنهج إذ يقول .. لا تعلم الشك فى المشكوك فيه تعلما ، فلو لم يكن ذلك التوقف ثم التثبت ، لقد كان ذمك مما يحتاج إليه .. الخ ، ويفرق بين العوام والخواص، لأنهم لا يتوقفون فى التصديق ولا يرتابون بأنفسهم فليس عندهم إلا الاقدام على التصديق المجرد أو التكذيب المجرد .. وقوله ، ولو كانوا يروون الأمور على عللها وبرهاناتها ولكن أكثر الروايات مجردة ، وقد إقتصروا على ظاهر اللفظ دون الأخبار عن البرهان .. ،
هذا دليل موجز عن المنهج النظامى الذى تناوله فى فلسفته .

الفلسفة الالهية عند النظام

لاشك أن الفكر المعتزلي له مقدمات منذ عهد الصحابة والتابعين وهذه الخطورة التفسيرية تجعلنا نعود إلى بواكير الحركة المعتزلية فالثابت من جميع الدراسات القديمة والحديثة عن المعتزلة ، تبدأ من نقطة اعتزال واصل بن عطاء حلقة درس الحسن البصري .

ولكن ربما رجعنا إلى أحد رواد هذه الحركة من الصحابة واحد من مشاهير الإسلام ، أحد المقربين من الرسول ، هذا الصحابي هو أبي ذر الغفاري. وصحيح أنه تعوذنا الأدلة والنصوص لاثبات صحة هذا الرأي ولكن هذا الأمر لايلبث أن يتضح في ضوء المنهج التاريخي والنقد الباطن لحياة وتراجم الناس .

وبهذا نتبين أن دعوة المعتزلة وتسميتهم بأصحاب الحق واخوان العدل وأهل التوحيد(١) ، كان يوحى بأكثر من فكرة وبأكثر من تيار فكرى أخذت مع الأيام تتشكل وتتجمع وتتبلور في صورها المتكاملة . والتي كان لها أكبر الأثر في الحياة العقلية في الإسلام .

وحين تعرض المجتمع العربي لعناصر المناوءه للعقيدة الإسلامية كان لابد من مدافعين بأساليب الخصوم ذاتهـــا وأقوى من طرائق قولهم ونقاشهم فكانت الدعوة إلى التوحيد . ونحن نعلم أن منطق التصور الديني والعقائدى في الإسلام وما يتضمنه من منزلة التنزيه يقضى بأمر التوحيد مدعما بالآيات القرآنيـــة والأحاديث القدسية متثبتا بالشواهد الواضحة .

---

(١) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا . تقديم د. طه حسين . مطبعة القاهرة

والأمر الثانى أن الجدال والمناقشات التى قامت بين الربانيين والعلمانيين من موسويين وعيسويين بشأن النسخ والأقانيم والكلمة وبشأن مانص عليه الكتاب المقدس عند المسلمين فى هذه الأمور كان لابد من القيام بحركة تفسيرية وتأويلية وشرح للقرآن والأحاديث ، وقضى ذلك عقد مقارنات بين الكتب المقدسة والأحاديث العربية فى الديانات المختلفة .

وهنا مسألة التوحيد والتعرض لذات الله والصفات التى وصف بها سبحانه وتعالى من علم وقدرة وعدل وقوة وسمع وبصر وإرادة وحكم .

وانتقل البحث من التوحيد إلى الخلق وإرادة التكوين الجعل والصنع وهنا نجد مسألة جديدة تظهر وهى مسألة الخلق وصنع العالم . وذلك لأن التوحيد لذات الله تقتضى قدمه على أى شىء (١) .

وقدم العالم مع ذات الله يجعل قديسين وتعالى الله عن ذلك .

وكان لابد أيضا من التعرض لمسألة البحث والحساب والقيامة وهى من الأمور الأساسية والتصورات فى الإسلام . وأدى ذلك إلى البحث فى الجنة والنار والخالدين . وقيمة الأعمال والجزاءات الطيبة والخبيثة فأدام إلى بحث مسألة العدالة الالهية والخير والصلاح فتعرضوا إلى الشر وإلى مبحث القيم من حق وباطل من خير وشر من جمال وقبح .

أى أن البحث فى مسألة التوحيد والتعرض لفكرة العداله الإلهية جعلتهم يتحولون من الفلسفة الإلهية إلى العالم والفلسفة الطبيعية حين تناولوا مسألة الخلق والحركات والأجسام والجنة والنار والقدم والحدوث فذهب بعضهم ومنهم

---

(١) الغزالى فى الأحياء .

النظام إلى القول بالجزء الذى لايتجزأ والقول بالطفرة والتخيير المستمر وفى السكون والحركة والملل وطبائع الكائنات .

وبعد تعرضهم للفلسفة الطبيعية إنتقلوا إلى البحث فى المشكلة الإنسانية الإجتماعية والسياسية والأخلاقية بحيث أننا نجد أغلب الأفكار والمبادىء المعتزلية تدور حول ، الحق والعدل والنهى عن المنكر والعمل الطيب والخير والمسئولية الاجتماعية ، وهم يستندون فى هذا إلى كتاب الله وسنة رسوله . غير أن النظام يقال أنه غض النظر عن الاجماع والقياس فى مثل هذه الأمور .

ولكن هذه المبادىء والمثل التى نادت بها المعتزلة ثم حمل لواءها النظام مسلحا بدعوة الحق والعدل والخير وعمل الطيب والمسئولية الاجتماعية، نجد لها المبررات والأصول التى صدرت عنها ، فمسألة الحكم والخلافة والمتابعة التى تنازع فيها المسلمون من أهل على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان القرشى والعباس عم الرسول وفرق الخوارج والمرجئة . جعلت المفكر العربى يتناول مسألة الحق والعدل ونظرياته فى ضوء العقيدة الدينية والمنطق العقلانى .

فأى الناس أحق بالخلافة ؟ .

وإن كان فلان أحق بالخلافة أو أصلح من فلان فهل يتنازعا ويراق الدم ؟ .

وإن كان فلان أصلح وأحق بالخلافة فهل غيره محق أم باطل فى دعواه وغير صالح للخلافة والحكم .

وما موقف العامة والجمهور من تطبيق القول السائد « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » ؟ .

وما حكم الدين فى الامتثال بين المسلمين ؟

أباسم الحق فى الحكم يقتل المسلم أخيه المسلم حاملا لواء العدالة ؟ .

وهل يرضى الله عن هذا الظلم ؟ إن الله حين أمر بالعدل عباده فهل كان يجوز الخروج عن هذا الأمر ؟ .

والله سبحانه وتعالى قد أوصى بتقويم النفوس وتهذيب السلوك الاجتماعى والدينى والسياسى والأخلاق (١) . فقد قيل « من رأى منكم منكرا فليقومه بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان » .

فما منزلة هـــذه الرشادة والنصيحة من حركة الإرتداد (٢) . والصراع التى مزقت فى ذلك الوقت الناس وهددتهم بانفصام وحدتهم الراسخة ؟ .

لقد كانت إذن المشكلة الإنسانية تمثل الجانب الأكبر فى الفكر المعتزلى ، بل وفى الفكر الاسلامى عموما . إن الحركات الاجتماعية والسياسية التى قامت فى العالم الإسلامى كانت تقوم على فكرة وفلسفة دينية محورها المشكلة الإنسانية واخلاقياته وسياسياته واجتماعياته .

وهذا الأمر يفضح بل يثبت قيمة البذور الفكرية والثقافيـــة والفلسفية فى سياسة الفرق *(١ ، ٢ ، ٣) والطوائف والمدارس التى تناقلت التراث العقلى والثقافى فازدهرت حينا من الدهر وتعددت على مر الأحداث وانكمشت أحيانا ثم مالبثت أن بعثت بعثا جديدا فى حركة الأحياء الثقافى .

---

(١) تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى لحسن ابراهيم حسن .

(٢) الارتداد نسبة إلى الردة أى النكوص عن العهد والايمان .

* (١) الفرق بين الفرق للبغدادى .

* (٢) الفهرست ابن النديم .

* (٣) الكامل للمبرد .

وفى ضوء النهج السابق نتبين كيف تطور النظام فى فكره وكيف خرج بفلسفته جديدة وكيف ارتبطت المشكلة الالهيه بالمشكلة الانسانية ، وكيف انتقل من التوحيد إلى العدل والحق ، وكيف تأدى من الدين إلى الاخلاق والمجتمع والسياسة وكيف انتقل من الفلسفة الالهية من الثيولوجيا إلى الفلسفة الطبيعية والعالم ثم إلى بحث القيم فى الاخلاق والسياسه .

فكل مايعنيه الفكر فى ذلك الوقت هو التعرض لما يشكل عصره من أمور فى الدين والدنيا ، من خلاف حول وحدانية الى وحول قدم العالم وخلقه وحول إقرار العدل والحق فى المجتمع الذى مزقته الخلافات السياسية والطائفية وعانى من ألوان البطش والظلم ماعاناه، كل مفكر يسعى لتأكيد حريته وإرادته واختياره حتى فى ميدان الدين .

وهذه الأفكار كانت توصى بالكثير من معانى الثورة الاسلامية فى الدين وفى المجتمع العربى . وتلقفتها فرق الشيعية واستخدمتها كغيرها من فرق الغلاه فى إقامه دويلات وتنظيمات وحركات سياسية . بينما نجد تيار الخوارج تيار اللامنتمى فى معترك الحياة والصراع السياسى والفكرى وكان لهم غاية دون أن يكون لهم برنامج فكانوا ظاهريا بمعزل عن الحياة السياسية والفكرية ولكنهم كانوا يؤثرون فيها بل وقد غلبت دعوتهم أحيانا التيارات والمذاهب الأخرى .

والنظام الذى خرج لنا بمذهبه الفلسفى قد أثار الكثير من المنازعات الفكرية فى العالم الإسلامى . وما كان يهدف إلا لمتابعة سير النهج الكلامى فى الدفاع عن الدين وحمل لواء العقل .

صفات الله :

ينكر النظام أى قديم يشارك الله فى قدمه ، ولذا ينكر قدم الصفات وفى حمل الصفات على الذات . ويقول :

« معنى قولى عالم اثبات ذاته ونفى الجهل عنه ، ومعنى قولى قادر إثبات ذاته ونفى العجز عنه ، ومعنى قولى حى إثبات ذاته ونفى الموت عنه » .

ويفسر النظام مسألة الخلافة بين الصفات وبين الذات ، فى أن مرجع الاختلاف هو تعدد الأضداد الصفات عن الله ، ولا إختلاف فى ذات الله ويورد نصا . .

« إن قولى عالم قادر سميع بصير إنما هو إثبات التسمية ونفى ماعداه » .

ولقد تناول النظام الكثير من الصفات الواردة فى هذه المسألة فقام بتأويلها وتفسيرها تفسيرا يبعد عن تحديد المفهوم اللغوى وعن شبهات التجسيم والتشبيه ، وهذه المحاولة لها أصولها فى الفكر الإسلامى وغيره من الفكر الدينى فى الكتب المقدسة .

والآيات التى تورد التجسيم ينبغى أن نفسرها تفسيرا غير جسمى « فحين نقول وجها نعنى توسعا . ونعود إلى اثبات(٢) لأننا نثبت وجها هو هو ، وذلك أن العرب تقيم مقام الشىء فيقول القائل لولا وجهك لم أفعل أى لولاك انت لم أفعل » .

ومحاولة النظام التفسيرية لآيات القرآن التى أوردت صفات الله لاتبعد كثيرا عن سياق المذهب المعتزلى ولا عن التيار النقدى فى الفكر الاسلامى .

---

* نشأة التفسير والتأويل فى الكتب المقدسة . دكتور سيد أحمد خليل .

(٢) الجانب الالهى من الفكر الإسلامى د. محمد البهى .

وقد أكد أحد الباحثين ماذهبت إليه ، فى أن التفسير فى الكتب المقدسة ومنها القرآن قام على أصلين :

أولهما . . الآثار المنقولة أى الدليـــل العقلى . وثانيهما . . محاولة الفهم أو الدليل العقلى .

ولو أن ظاهرة التفسير قد سبقت القرآن . ولتبين أمرا هاما هو أهمية الأخذ بالتفسير عند دراستنا للفرق والطوائف الاسلامية . وحين عرضنا لثقافة النظام وجدنا أنه إستوعب وأطلع على ثقافات وفلسفات أفلاطونية ورواقية ، ربما كان لها أثر فى أخذه عنهم التفسير للآيات . ونحن نعلم أن الثقافة الأفلاطونيـة عاشت وازدهرت فى الاسكندرية وعرف فيلون السكندرى بتفسيره الرمزى وتفسيره للكتاب المقدس . وتبعه نوينيوس السكندرى فى هذا وغيره من مفكرى مدرسة الاسكندرية مثل أوريجين السكندرى .

ومحاولة التفسير والتأويل عرفتها دوائر المفكرين وقد أخذ بهـا العلمـــاء والدارسون القدماء أمثال البيلانى وأمين السكيت أو البيرونى (١) وتفسيره لما ليس بمعلوم ، ونحن نعلم أن البيرونى كتب عن الهند كتابه الشهير ونعلم أيضا أن من الثقافات التى اطلع عليها النظام فى الثقافة الهندية . فقد عاش فى عصر التقاء واتصال ثقافى أتاح له فى مرحلة التلمذة وعهد الطلب، الوقوف على ثقافات الأمم الأخرى والتى قد مهدت له عهد الأستاذية .

وواضح أن هذه المحاولة لا تبعد فى تفسيرها عن محاولة النقـد الداخـلى للنص

---

(١) تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة فى العقل أو مزدولة كتاب لصاحبـــه البريونى .

التى يأخذ بها بعض الدارسين فى ميادين البحث العلمى وهنـاك فارق بين المحاولتين إذ يوجد أيضا فارق بين التـأويل و التفسير ، وقـد جاء على لسان الباحثين لما يذكره الغزالى (١) « إن القول بالتأويل يستدعى تمهيد أصل وضرب أمثلة » .

كما يورد ابن يتمية (٢) فى كتابه نصا هاما يبين ضرورة خوض التفسير الدينى وهو مادفع بالمعتزلة والنظام إلى هذا ؟ يقول : إن العرب لاتستوى فى المعرفة بجميع مافى القرآن ، ويعضده فى رأيه ابن خلدون (٣) بقوله « إن القرآن أنزل بلغـــة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فـكانوا كلهم يفهمون ، وكان النبى (صلعم) يبين الجمال ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرف أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات . . ومقتضى الحال منها منقولا عنه » .

وهذه النصوص من الأهمية بمكان ؟ إذ نسبه إلى موقف المفكرين الأصوليين ومنهم المعتزلة والنظام من قبول التفسير بالاستناد إلى السنة وإلى الاجتهـاد وفى التفسير والشرح والتأويل (٤) .

وقد حاول بعض الباحثين (٥) أن يبينـوا أثر بعض الطوائف التى كانت لهـا علم سابق بالديانات الأخرى كيهود المدينة فى تفسير القرآن فى كتابة (٦) المشهور، وقد سبق إلى ذلك أوليرى فى كتابه العرب « مسالك الثقافة الاغريقيـــة وكتابه

---

(١) المستصفى لغزالى ص ٣٨٦ .
(٢) المسائل والأجوبة ص ٨
(٣) مقدم ابن خلدون
(٤) فقه المعاملات .
(٥) أمين الخولى
(٦) التفسير ص ٢

الذائع الصيت (١).

والذى يعنينا من هذا ، ذلك المنهج الذى اتبعه النظام فى بحوثه الكلامية وفى نسقه المذهبى عند تعرضه للفلسفة الالهية وتفسيره للآيات القرآنية وطبيعة هذا هو الفهم والتبصير والتعمق فى النص الدينى . وهذا المنهج فى حاجه إلى مزيد من الدراسة والبحث باعتباره لونا من ألوان الفكر نلمسه فى أمور العقيدة والدين .

ولا يفوتنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه (٢) قد تعرض لمسألة التفسير والرواية . ولا شك أن مادفع شيخ الإسلام إلى تناول هذه المسألة مالاحظه من شوائب خارجة على الإسلام بدت تشابه . فكان لابد من أن يضع الأمور فى نصابها . فقد ورد على لسان الجاحظ (٣) مامعناه أن جماعة من القصاصين والرواة إشتهروا بتفسير القرآن ومنهم موسى الأسوارى وعمر بن قائد الأسوارى فى القرن الثالث الهجرى ، والأخير ظل يقص ستا وثلاثين سنة فتبدأ بسورة البقرة حتى ختم القرآن ومات . ويذكر الجاحظ أن عمر بن قائد الأسوارى كان حافظا للشروح ووجوه التأويلات . ونعلم أن الجاحظ تلميذه النظام المخلص، وهذا معناه أن التلميذ كان على علم بمسائل التأويل والتفسير والتى أخذها من أشقائه ، ولا نعجب حين نرى أن الأستاذ يقوم بالتفسير والتأويل القرآنى حين يتعرض للفلسفة الالهية .

وقد كتب ابن تيمية فى هذرسالة (٤) فى تكذيب الحديث والتفسير لأن

---

(١) أوليرى (مسالك الثقافة الافريقية) .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ صـ ١٩٣ مطبعة المقار .

(٣) الجاحظ البيان والتبيين جـ ٢ .

(٤) اصول التفسير صـ ١٩ طبعة دمشق ١٩٣٦ .

الاسرائيليات والتلمود البابلى كان قديما ونحن نسلم على نشأة مدرسة الاجتهاد ومدرسة الحديث وما كان لها من أثر فى الفكر الاسلامى والحضارة العربية ، وقد تبين الباعث الذى دفع بالنظام إلى الأخذ بمنهج التفسير والتأويل من خلال صلته بصاحبه من الشيعة الذين شابتهم تعرض الآثار والدراسات البابلية واليهودية ولا سيما كان مهد الحركة الشيعية فى العراق ثم إمتد إلى أطراف العالم الاسلامى .

وهنا يكون الخلاف بين الظاهرية وبين النظام ، خلافا لا فى الفلسفة بل فى المنهج الذى يتبعه النظام فى الفلسفة الإلهية .

ومن المسائل التى تناولها النظام فى الفلسفة الالهية ، الادارة والعلم والقوة والقدرة والعدل وفعل الأصلح ، ويرى النظام أن العدل الالهى يقتضى أن يفعل الله الظلم ولا يقدر عليه « وقد يجوز أن يترك فعلا هو صلاح إلى فعل آخر هو صلاح يقوم مقامه » .

فلا يوصف الله بالقدرة على أن يزيد فى عذاب أهل النار ولا أن ينقص منه ولا يستطيع أن يعذب الأطفال ولا أن يدخلهم النار . ويذكر النظام فى صدد عدم صدور الظلم عن الله أى من ناحية أخرى عدل الله فى قوله (١) .

وحدث الظلم ليس يقع إلا من ذى آفة، وحاجة حملته على فعله، أو من أجهل به ، والجهل والحاجة دالات على حدث ماوصف بهما ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وكما يذكر الشهرستانى فى تفسير مذهب النظام فى الفلسفة الالهية قوله .

« إن القبيح إذا كان صفة ذاتية للقبح وهو المانع من الاضافة إليه فعلا ، نعنى

(١) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام دكتور على سامى النشار .

* الشهرستانى والملل والنحل صـ ٣٧ .

تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضا فيجب أن يكون مانعا. ففاعل العدل بل يوصف بالقدرة على الظلم » .

وحين يقول النظام بعمل الأصلح فليس معناه تحديد من قدرة الله سبحانه وتعالى ولكن الخير لا يصدر عنه الأخير ، فالله غير مجبر على فعل هذا أو ترك ذلك ولا مطبوع ، لأن المطبوع مسلوب القدرة على الفعل أو تركه .

وقد تبدو فكرة فعل الأصلح مشابهة للفكرة الرواقية (١) التي تقول بأنه ليس في الامكان أبدع مما كان. وقد تكون هناك صله بينهما ولا سيما أن الرواقية فلسفة أخلاقية ، قامت على الفداء والتضحية والربطة والأخوة الانسانية فى العلم ، وهى تقريبا الفلسفة الأخلاقية المعتزلية ولا سيما عند النظام والتي تنادى بالحق وبالعدل وبالدفاع والتضحية ، ولكن هذا الشبه لايعنى أكثر من وحدة فى طبائع المشكلة التى تعرضت لها كل من الرواقية والمعتزلية .

وفعل الله للاصلح وللعدل ليس مراد به نفع أو دفع سوء عن الله ، لأن الله يفعل العدل لسموه وشرفه ، وليس يصدر فعل العدل عن الله ملزم له بالفعل لأن الله يفعله باختيار منه ، ومشيئة الله حرة يفعل أو لايفعل ، وقد يبدو أن هناك أثر أفلاطونى حين تعلم عن عالم المثل والخير بالذات فى محاوراته (٢) ، ولكن هذا الأمر مستبعد بالرجوع إلى النص القرآنى وإلى ضرورة القول به .

لأن منطق المعتزلة وسياق تيارهم الفكرى يقرر الحرية والمسئولية الشخصية ومعنى هذا أن الخير قائم وما يحدث من شر فبإرادات خارجة مختارة غير الله سبحانه وتعالى .

---

(١) الفلسفة الرواقية دكتور عثمان أمين .

(٢) فى محاورة أفلاطون الخالدة - فيدون (محاورات أفلاطون د. زكى نجيب محمود)

ويتضح هذا الأمر بشيء من التفصيل فى الفلسفة الانسانية عند النظام .

أما إرادة الله فيقول (١) أن الوصف لله بأنه مريد لتكوين الأشياء معناه أنها كونها ، وإرادته للتكوين ، وإرادة الله على نوعين ، إرادة لأفعـــال عباده ، والأولى خلقها وجعلها . والثانية أمر بها أو أخذ عنها أو نهى عنها .

وإرادة الله لأفعاله هى ذات أفعاله ومعنى هذا أن الارادة ليست خارجـه عن ذاته ولا تضاف إليه . لأن الارادة العادية المحمولة على الذات تستلزم حاجـة من المريد ، والله ليس فى حاجة من الحاجات وتعالى الله عن ذلك ، وهـذا يختلف عن آراء المفكر المعتزلى الشهير (٢) اختلافا جزئيا ومنهجيا .

تبين لنا أن المشكلة الالهية التى تناولها النظام بالتفكير والبحث واستنـادا إلى المسلمات العقلية والنقلية ومنهج التأويل والتفسير تأدى إلى الفلسفة الالهيـــة التى عنيت بتأكيد الأصول المعتزلية من توحيد الله وتنزيه له (٣) .

وقد دفع المسلمون إلى بحث التوحيد والقول بنظرية فلسفية فى الدين مااقتضته الصراعات الفكرية والتيارات التى سادت الاسلام • وحين تعرض الإسلام لدعاوى المجسمة والمشبهة التى تؤثر بالاسرائيليات أو بالقول بالظاهرية كمذهب أهل السلف الذى قبلوا النصوص الواردة بالجسمية والمكانية على ظاهرها بلا كنف ولا تشبيه ، وقالوا إن لله عرشا لا كالعروش ويدا لا كالأيدى ، ونادوا بامكان رؤية الله فى الآخرة وقالوا بقـــدم القرآن . فجاءت المعتزلة تقرر فلسفة جديدة تجرد الله

---

(١) فلسفه المعتزلة وأيضا فلسفة المعتزلة للدكتور البير نصرى .
(٢) (العلاف) مصطفى الغرابى .
(٣) (فلسفة المعتزلة) د. البير نصرى طبعة بيروت .

وتوحيده ، تؤمن بقدم وبخلق القرآن تؤمن بحريته وبقدرته الحرة وبإرادته العادلة .

وذلك لأن العدل يقضى بالمسئولية عن الفعل وبالحساب والجزاء عن العمل وأفعال العباد مخلوقة لهم ونتيجة إختيارهم ، وفى ذلك رد على الجبرية التى سلبت الحرية والقدرة والارادة ، وفعل الأصلح بحث فى معنى القيمة وحكم العقل على الأفعال .

وحين تناول مسألة الوعد والوعيد فقد ربطها بمبدأ فعل الأصح والجزاءات العادلة . فالجزاء من جنس العمل ، وحين يأمر الله عبـاده بالايمان فانه يأمرهم بالاعتقاد والعمل ، لأن الدين عقيدة (١) وشعائره الايمان بالقلب والعمـل بالجوارح . هذا مايأمر الله به عباده .

وحين يناضل النظام ويخرج للدفاع عن الدين فهو يعمـل بمبدأ « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٢) الذى كلف الله عباده الاتقياء به وهـذا المبدأ يتضح أكثر فى الفلسفة الانسانية أو حين الكلام عن المشكلة الانسانية والاخلاقية عند النظام .

وكل الذى نخلص إليه من البحث فى ميدان الفلسفة الالهية عند النظام ، هو المنهج النظامى فى التأويل والتفسير للقرآن على عكس الظاهرية والتحفظ فى عدم ذكر الأحاديث . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد النظام يجـرد الحقيقة

---

(١) « إن الله يأمر بالعدل ... وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى أ لخ » (من أصول الاعتزال) .

(٢) الحضارة والاسلام (أحاديث اذاعية — طبعة وزارة الثقافة د. محمد خلف الله أحمد) :

الالهيـــة كذكر وينزهها . والنظام مستنير وقد عانى الصراع والخلاف بين الاتجاهات التى قامت فى عصره ، قد جعلته يأخذ باحكام العقل ومنطلقه ويرد إليه خبرة الاحكام النقلية الشرعية وكل نص منزل . وتلك المحاولة المذهبية من جانب النظام قد أثارت الذم والمدح على السواء . وبالرغم من هذه الميول فى أحكامنا على النظام ، فإننا نرى أن النظام حين أخذ بالفكر النقدى كان يسعى لتقويم مسلك الحس والعقل والقلب ، وذلك بالتزام الشرع وفهم مبادئه والزود عن الدين بسلاح المتكلمين .

وقد عارض النظام ابن الروندى [١] حين قال النظام بأن الله يفعـــل الخير ولا يقدر عد فعل ماهو دون . وابن الروندى يرى أن القدرة الالهية تكون بذلك محدودة ومقيدة ويرد عليه الخياط [٢] المعتزلى بقوله« إن الله حين يعد أهل الجنة بالنعيم فمن العبث أن يميتهم أو يدخلهم النار » .

الأمر الذى نلحظه على ابن الروندى أنه يجادل النظام سعيا وراء الجدل فما بال أحد الملاحدة يذكر الله : ان الملحد لايسلم أساسا بالله، فما يعنى هجومه للنظام حين يتكلم عن نوع من القدرة لله حتى يؤمن به أم مزيد من العبث والجدل ؟

ولا يقف نقد ومعارضة ابن الروندى للنظام عند مسألة القدرة الالهية وفعل الأصلح بل يتجاوزها إلى العدل الالهى ، ويتهم النظام بأنه أخذ عن الديصانية [٣] والثانوية التى تقول بالنور والظلام وذلك حين تناول النظام مبدأ الثانوية بقوله [٤]

(١) الانتصار والرد على ابن الروندى للخياط المعتزلى .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الانتصار للخياط المعتزلى .

عله مباينة النور للظلم إما أن تعود إلى الطبع ، وإما أن تعود إلى الاختيار فالنور بما له من قدرة قد تختار الباطل ، وكذا الظلم » .

والرد على ابن الروندى بسيط يرجع إلى أن فكرة النظام عن الله تختلف عن المانوية (١) فالله واحد بسيط لا اله الا هو لاتشكل ولاتجسيم فية بينما المانوية ترى أن هناك اختلاف منذ القدم .

ويبدو أن فكرة الثنائية (٢) قد أغرم بها الفكر الشرقى القديم بل العقائد القديمة والأساطير البابلية والآشورية والمصرية القديمة والهندية والفارسية (٣) ترى تلك الثنائية وهذا هو منطق الأضداد فى عالم الغيب وفى عالم المجتمع . ولكن الفكرة المعتزلية والمدرسة النظامية التى نادت بمذهب الإرادة الإنسانية الحرة والعدل الالهى قد حطمت فكرة الجبرية والتشاؤمية فى الفكر والمذاهب الشرقية القديمة التى كانت تسعى إلى الخلاص من الحياة الدنيا .

كما يعارض ابن حزم (٤) النظام فى أن الله لايقدر على ظلم أحد ولا على اتيان بينما الناس يقدرون على هذا . ويرى ابن حزم لو كان الأمر كذلك لكان الناس أتم قدرة من الله وكذا عجز على الله ، ولذا ينتهى إلى تفكير النظام وسابقة العلاف .

ومن ضمن النقود الموجهة إلى النظام أيضا النقد الأشعرى ، حين يرجع أصل مذهب النظام فى العدالة الالهية إلى الثانوية بقوله «قال أهل التثنية إن إمتزاج النور بالظلم على المداخلة التى ثبتها ابراهيم .

---

(١) المرجع السابق (الانتصار) .

(٢) فلسفة المحدثين والمعاصرين وولف woolf ترجمة أبو العلا عفيفى

(٣) (الميثولوجيا) (علم الاساطير القديم) .

(٤) ابن حزم .

والرد على الأشعرى لايحتاج إلى تأكيد اصالة الفكر المعتزلى والمذهب النظامى، فقد سبق أن عارض النظام الثانوية أشد المعارضة .

وحين يسوق كل من البغدادى (١) وفخر الدين الرازى (٢) والشهرستانى(٣) التهم إلى النظام ويروون أقواله إلى الفلاسفة والثانوية فان ذلك يتنافى وقيمة الافكار النظامية والمعتزلية .

ويرى الأيجى (٣) فى كتابه ، تلك الطوائف المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، بصدد مسألة قدرة الله ، فيعدد هذه الطوائف فيذكر منها الفلاسفة والمنجمون والثانوية والنظاميين من حيث قدرة الله على الفعل الحسن لا القبيح .

وهذه النقود المختلفة ، تبين أمرا هاما . وهو أن الفكر المعتزلى كان يمثل تيارا خاصا من التيارات الفكرية فى الإسلام وفى البناء الثقافى والعقلى للحضارة العربية وإن الفلسفة النظامية قد أثارت الكثير حولها بين قدح ومدح ، وقد تركت أثرها البعيد فى الفكر الإسلامى والحضارة العربية حتى أن الفلسفة الأشعرية المحددة للفكر المعتزلى والتيار النقدى المثير قد جاءت نتيجة رد فعل للتيار النظامى ومدرسته التى جمعت أعلام ورواد الفكر والادب والعلم والدين خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى (٤) .

---

(١) (الفرق بين الفرق) للبغدادى .

(٢) المراجع السابق .

(٣) (المواقف) للايجى .

(٤) المرجع السابق .

الفلسفة الطبيعية والعلم

انتقل النظام من الفلسفة الالهية إلى الفلسفة الطبيعية والعالم تأدى من فكرة إرادة التكوين والخلق « كن فيكون » إلى العالم إلى تحقق وحدوث الفعل الالهى فى الطبيعة . فالله تعالى صانع خالق وهذه هى التصورات والمسلمات الدينية للاسلام والمخلوقات حادثة والله قديم منذ الازل حتى الأبد « ولا يبقى إلا وجـــه ربك ذو الجلال » .

وخلق الله الخلق والموجودات دفعة واحدة من إنسان وحيوان وجماد ولم يسبق إنسان فى حدوثه إنسانا آخر سبقا أو تأخرا زمانيا فى الخلق أو الجعل إنما أكمن بعض الموجودات فى بعض ، فاذا كان وقت صدورها حدثت لها حركة والحركة هنا لاتعنى النقلة بل كمبدأ للتفسير بمعنى أن النظام يفرد الحركة فى الوضع دون أن يأخذ بأقوال أرسطو وغيره من الفلاسفة بصدد المقولات التى تتصل بواقع الحركة.

وقد عبر الشهرستانى صاحب كتاب الملل والنحل عن هذا الخلاف حين قال « إن له فى الجواهر وأحكامها خلط مذهب يخالف مذهب المتكلمين والفلاسفة(١).

وقـــد أثار قول النظام بتمام الخلق وبكمون المخلوقات آثار اعتراض ابن الروندى (٢) وحماس الخياط (٣) . إذ يرى الأول أن تسليم النظام بقدرة الله الكاملة على الخلق تعنى أنه لم يزيد أن ينقص شيئا وفى هذا تحديد لارادة الله

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى صـ ١٣

(٢) ابن الروندى فى كتابه فضيحة المعتزلة .

(٣) كتاب الانتصار صـ ٣٣ ، ٣٤ .

وسياق هذا القول يوحى بنفذ المعجزات الدينية التى يعمدها الدين ولكن الخياط يفسر موقف النظام بأنه ذهب إلى القول بأن الله يقدر على أن يخلق إلى ما لا نهاية، ولكن مشيئته تأتى بالمعجزات وقت حدوثها .

ومثل هذا الموقف وقفه بعض المفكرين فى الإسلام حين تعرضوا لمسألة خلق القرآن فصلة فهو كلام الله قديم حادث كما ذهبت إلى ذلك المعتزلة بمعنى الاعتراف بمبدأ الكمون (١) وهذا المبدأ عرفته الفلسفة فى مختلف عصورها فقد عرفه انكساجوروس والرواقية من بعده وترددت بين المذاهب الحديثة كثير من الفلاسفة بل تعدت الفلسفة ومبحث المعرفة إلى العلم الطبيعى ونظريات النشوء والتطور .

وفكرة العالم الطبيعى عند النظام ، أنه مكون من أجزاء من جواهر فرده من مو نادا أن جاز التعبير عنها بالاسلوب الأسبينوزى (٢) وفكرة الجزاء هذا ينظر إليها النظام بمعيار التجربة والدوافع فى إطار المكان والقيم العددية والحسابية فهو لم يقبل فكرة الجزء الذى لا يتجزأ ويقرر « لاجزء إلا وله جزء ، ولا بعض الأدلة بعض ولا نصف الأدلة نصف وإن الجزء أجاز تجزئتــــه أبدا ولا غاية له من التجزؤ » .

وهذا الموقف يعود بنا إلى المناقشات والمجادلات التى دارت بين الربانيين والطبيعيين بصدد حجج زينون والمكان والقسمة غير أننا نتبين أثر فكرة القائـــلة بالكمون والاستمرارية المتصلة والتسلسل إلى مالا نهاية فى تجزئة

---

(١) عصر المأمون جـ ١ ، جـ ٢ ، جـ ٣ المجلدات الأول والثانى والثالث .

(٢) يعتبر اسبينوزا من الفلاسفة المحدثين الذين قالوا بمذهب الجـــزء الذى لا يتجزأ فى الفلسفة وبارمنيدس وزينون من القدماء والعلاف من الإسلاميين .

الأجسام (١) ولا يقبل فكرة القسمة اللامتناهية المنتظمة بل يقول بكرة التحول أعني فكرة الطفرة الفجائية في الحركة فنراه يقول « فيرى أن الجسم قد يكون في مكان أ . ثم يطفر منه إلى هـ متجاوزا ب و ج و د هـذه النقط والمسافات المتوسطة وهذا القول يمكن تأويله في مواقف عديدة لتبرير القول بحدوث المعجزات ولتبرير حركة القول والطفرة في ميدان الدين والأخلاق .

قد وصف النظام الأجسام بالحركة وهي تتفق مع قوله بالطفرة والحركة على نوعين حركة خفية هي حركة الاعتماد وحركة ظاهرة هي حركة نقلية ، أي يفرق بين الحركة في مكان والحركة عن مكان . وعلى هذا ينكر القول بالسكون، وكأننا أمام هيرقليطس حين يقرر التغير الدائم والحركة الدائمة في الوجود (٢) ولكن النظام له دليل طريف على اثبات الحركة الطبيعية يقول « إن سكون في مكان معناه أنه كان فيه وقتين . ومع كونه فيه وقتين أن تحرك فيه وقتين، ويصف أيضا بقوله « إن الأجسام في حالة خلق الله أيضا كانت متحركة حركة إعتماد .

وربما يدفعنا هذا القول إلى تقرير التشابه بين فكرة التوتر عندالرواقية وفكرة الحركة عند النظام .

ولكن ربما كان الدافع الذى دفع النظام إلى قوله هذا ، موقفه من الوجود الطبيعي للعالم واتصال حركته والحياة فيه واستمرارها إلى أن تأتي مشيئة الله بالقيامة حيث عهد بعد ذلك بفكرة سكون أهل الخلوين .

---

(١) تاريخ الفسلفة اليونانية يوسف كرم صـ ٢٠ وما بعدها حتى صـ ٤١ .
(٢) عقم المذهب التاريخي ، ك. بوبر ترجمة عبد الحميد صبرة .
(٣) الأشعري في كتابه مقالات الاسلاميين صـ ٣٢٥ .

وعلى كل حال قد خالف النظام في هذا العلاف (١) وغيره من المعتزلة بصدد القول بالحركة والطفرة فيقولون إذ كيف ينتقل الجسم من مكان إلى مكان آخر ولم يمر على المسافات التي بين المكانين ؟ .

ثم كيف يفرق بين السكون والكمون ؟ وكيف يمنح الأجسام في حال خلق الله لها الحركة . معنى هذا أنها تملك القدرة، ولكن الله خالق الخلق والموجودات بإرادته الحالية ولم تسبقه قدرة غير إرادته .

فالعالم مكون من أعراض ... من أجسام لطيفة وليس من أجزاء أو ذرات أو مو ادا . وقد يرون هناك شبه بينه وبين الرواقية . ولكن ماهو هذا العرض الذى أوجد العالم ؟ .

إن الحركة والله يمنح الناس القدرة على الحركات ... فلا فعل للانسان سوى الحركة وأنه لايفعل الحركة إلا فى نفسه ، وأن الصلاة والصيام والأدوات والأصوات والطعوم والآلام أجسام لطيفة .

وعلى هـذا فالأعراض على نوعين أقدر الله الإنسان عليه ، نوع لم يقدره عليه ، والأول هو الحركة ولواحقها ، والثانى مالا دخل له فى التوصل إلى معرفته وكنه ولا يجوز أن يفعله الإنسان ، إنما يفعله الله الأول تظهر فيه الارادة الحرة المختارة وهذا الاختيار .

وعن الأشعرى أنه قال « إن ماحدث فى غير خير الإنسان ، فهو فعل الله سبحانه بإيجاب خلقه للشىء كذهاب الحجر عند دفعه الدافع وانحداره عند رمى

---

(١) كتاب (العلاف) المعتزلى وأيضا كتاب(نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام) د. على سامى النشار .

الرامى به ، ومعنى ذلك أن الله سبحانه طبع الحجر إذ دفعه دافع أن يذهب وكذلك سائر الأشياء المتولدة أى الكامنة والتى تحقق صدورها بعد .

وعلى هذا يذكر الشهرستانى صـ ٣٨ .

« إن كل ماجاوز محل القدرة من الفعل ، فهو فعل الله بإيجاب الخلقة ؟ أى أنه سبحانه تعالى طبع الحجر طبعا ، وخلقه خلقا ، إذا دفعه اندفع ، وإذا بلغت قوة الدفع مبلغا عاد الحجر إلى مكانه طبعا » .

والجديد فى النظام بصدد الموجودات هو عوله بالطبائع ، ويتأدى إلى القول بالجوهر باعتباره توليفة من اجتماع الأعراض ، بمعنى أن العرض جـــزء من الجوهر ومجموع الأعراض هى الجوهر ، وكأننا أمام نظرية كلية تقول بأن الجوهر هو محصلة الأعراض المختلفة .

وتختلف نظرية النظام فى الطبائع عن نظرية أرسطو فى الماهيات ، وذلك لأن المعنى الميتافيزيقى المجرد يتمثل فى نظرية الماهيات بينما نجد المعنى التجريبى واستقرائى يتمثل فى نظرية الطبائع ، وهذا الخلاف ليس خلافا بسيطا لما هو خلاف جـذرى فى مناهج البحث وطرق التفكير . وهذا الخلاف أحد الظواهر الحضارية التى تعبر عن بعض الفروق الحضارية بين أمتين من الأمم .

رأينا كيف انتقل النظام من بحثه فى المشكلة الدينيـــة إلى البحث فى مشكلة العالم . وكيف توصل من بحثه فى الفلسفة الالهية إلى الفلسفة الطبيعية. وكان يسير على نسق معين من طرائف التفكير. وقد تبين أنه أحد الذين أخذوا بمنهج التفسير

---

(١) لعلى مصطفى الغرابى ، والثانى للدكتور الاستاذ على سامى النشار .

(٢) الشهرستانى الملل والنحل .

والتأويل مخالفا فى ذلك الظاهرية . وهذا المنهج فلسفى فى جزئياته وفى كلياته ، لأن التفسير يتعمق النص ويدخل إلى جوانبه وفهمه . وهذا التعمق وهذا الفهم من علامات وسمات البحث الفلسفى (١) .

وقد رأينا أن النظام يتجه من دراسة الطبيعة إلى استخلاص فلسفة المجتمع والتاريخ والاخلاق ويلمح عن بعد مبادىء فلسفته .

وكان النظام موفقا فى بناء فلسفته الكلامية وفى تسلسل موضوعات بحثه الفلسفى فهو يتناول فى الصدارة المشكلة الالهية فيتعرض لمسائل التوحيد والصفات والذات والإرادة والقدرة والعدل . ثم يبسط الحلول التى تستند إلى التصورات والمسلمات الأساسية للدين وينتقل من هذا الميدان إلى البحث فى مشكلة العالم والطبيعة (٢) والموجودات، وهذه هى الارادة الالهية متحققة فى الوجود الطبيعى بما فيه من حركة واتصال وطفرة وجواهر وأعراض وأفعال وطبائع للموجودات والأشياء . فهو ينتقل من عالم الله والدين إلى عالم الأشياء والدنيا .

ولا يسعه إذ أن يخص الإنسان بالنظر والبحث فهذا هو السير المنطقى الطبيعى لانتقال فكرة الدين إلى الطبيعة إلى المجتمع والتعرض لمسألة الاخلاق والارادة الانسانية الحرة المختارة والمسئولية والجزاءات والاستطاعة والمعرفة والعدل الاجتماعى والقيادة الاصلاحية فى الدين وفى المجتمع .

والنظام بهذا يقوم بعمليه إنشاء وبناء فلسفى لايعزل ولا يفصل بين طوابق البناء . بين الدور الأعلى وبين الدور الأوسط أو الدور الأسفل . انه يقوم بأكبر تنظيم وتشييد للفكر الاسلامى فى عمارة الحضارة العربية .

---

(١) مناهج البحث عند مفكرى الاسلام د. على النشار .

(٢) (الاحلام عند مفكرى الإسلام) د. توفيق الطويل المقدمة.

وعلى هذا تمتاز دراسة النظام للمواقف المختلفة بالربط الشامل وبمحاولة إنشاء فلسفة للدين تقوم على التفكير والايمان . فهو لا يقبل مطلقا صحـــة المبادىء والمسلمات في التصور الديني إلا ما ينظره وما يستقر به من الواقع من أفعـــال وحركات الموجودات ثم الانتقال بهـــا تفسير مشكلة الخلق والعالم والطبيعة ، فالوصول إلى أبسط المبادىء والمسلمات الدينية .

فالطبيعة فى تصور النظام ليست مقولات مجردة أو كتابا مفتوحا ينظر سطوره فيؤمن ، ولكنها يفهمها ويفسرها ويريدها ، ويفك رموزها ويعلل ظواهرها • وبرانيتها ويريد الخلاص والايمان ويقدم تجربته الحية للآخرين . فهى السبيل الوحيد للدفاع عن الدين. فارق إذن بين موقف أهل السنة وبين المشائين وبين المتصرفة، فارق فى طريق الوصول إلى الايمان. فارق فى التجربة والمنهج . فارق بين غلاة العقل واللاعقلانية وبين الرواقية . هذا الخلاف وهذه الفوارق لم تمحى ولم تذهب الا فى محاولة النظام لاقامة فلسفة جديدة تمتد جذورها من العقيدة وتنمو بفضل الارادة الحرة وبمنطق الفكر وفى ورع وتوبة إلى الله تثمر التوحيـــد والعدل والخير .

وحق علينا أن نصف فلسفته بحركة الاصلاح الدينى وقوله بالطفرة وبانتفاء المتوسطات المكانية ، لدلالته على إمكان الوصول من غير واسطة إلى الغاية ، إلى الهدف ؛ لإمكان الوصول إلى الله وتوحيده (١) فى طفره قد لا تحتاج إلى وسائط، أى أنبيا وهنا يتهم النظام فى دينه ويهاجم أفظع هجوم إذ تحوم حوله التهم بإنكار حقيقـــة النبوة ، والواقع أنه لم ينكرها ولكن قال : فى طفره وفى قفزة يصل الإنسان إلى الايمان والتوحيد .

---

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه « الوحى والدين والشريعة » المقدمة

لقد ضاق النظام كثيره من المفكرين بالوساطة التى ادعاها بعض الشيعة والأماميين وغيرهم من أصحاب القول بالولاية . فرأى الحل فى الطفره . وإمكان الوصول إلى التوحيد بالارادة والجهد الإنسانى .

وهذه ثورة فى الفكر والدين . ارادها النظام فلقيت التأييد كما لقيت الهجوم والتهديد . لقيت المداحين كما لقيت القداحين .

ومن هذا نتبين أهمية التأويل والتفسير (١) ودلالته فى فكر النظام وفلسفته . فهو المنهج المميز له ولكثير من المعتزلة . فهو يقر بالاجتهاد الدينى ولكنه لايقر بالإجماع .

ونرى أن منهجه هذا يمتد حتى من خلال بحثه للمشكلة الانسانية وللمعرفة والأخلاق . وهى موضوع الباب الثانى .

---

(١) المرجع السابق .

الفلسفة الانسانية أو المشكلة الاخلاقية

وقد أولى الفكر الاسلامى والمعتزلى على وجه التحديد أهمية كبرى فى البحث لهذا الجانب ، بحيث يمكن القول أن الفلسفة العربية والإسلامية مذهب جديد فى الفلسفة الأخلاقية يؤكد قيما أخلاقية جديدة و يسعى إلى الغاية الإنسانية من السلوك الإنسانى إلا وهو الخير والواجب والعدل والحق . وقد مثل الجانب العلمى لهذه الفلسفة الأخلاقية أصحاب النزعات التصوفية وأهل الزهد والإعتزال .

وعلى هذا يمكن القول أن النظام فى ثلاث حلقات متصلة خرج بفلسفته النظامية النقدية .

فالفلسفة عنده فلسفة معاملة فلسفة عملية تقوم على العمل المطابق للشرع والإرادة الحرة . وهذا العمل يجرى بمقتضى قوانين الحركة الطبيعية. وحين يذهب النظام إلى تأسيس فلسفة عملية إنما تعنى حلا لمشكلة العدل والظلم ، الخير والشر ، الثواب والعقاب والإيمان والفكر . المسئولية والتضحية والفداء . فهى فلسفة عملية نابعة من الدين إذ كانت تجعل من العمل الحر الغاية الحقيقية للحياة الاجتماعية والسياسية . كما تجعل من العلم والمعرفة التى يقوم عليها عمل وفعل موضوعا للايمان بالدين والأخلاق .

وحين يعرض النظام للمشكلة الإنسانية، لايفوته التعرض لمسألة مهمة فى الدين والفكر وهى مسألة الروح . فقد رأى أن الإنسان مكون من روح متداخلة فى البدن والبدن آفة على تلك الروح ، لأن الروح هى الحساسة الداركة أى النفس .

وحين يقول النظام بجسمية الروح فانه يقول بأبسط مكونات العالم والطبيعة فهو يقول بالاجسام اللطيفة البسيطة التى تتداخل وتتكيف فيكون

الجسم سجنا للروح (١) وعلى هذا فالروح هى الفاعلة وتبعها جميع الحركات والإرادات ، بل أن العلوم والمعرفة حركات تأتى من الروح .

وكأننا هنا فى تفسير النظام بصدد المعرفة ، إذ يفسر طبيعة المعرفة على إعتبار أنها الصله التى بين الروح العارفة موضوع المعرفة هى ذاتها الحركات . أما مصدر المعرفة وأصولها فهى تلك القوة الروحية المريدة التى يسجنهـا البدن ويملكها الإنسان فى نفسه ، وعلى هذا فالمعرفة فى رأى النظام ممكنة للروح لأن الروح هى الفاعلة المدركة لموضوعات المعرفة ، وهذا الروح تملك القـوة والاستطاعة والمشيئة والحياة .

وهى مستطيعة بنفسها ، والاستطاعة قبل الفعل ، وقد يبدو كلام النظام بهذا الصدد يتشابه ومقالة الفلاسفة ولكن لنا أن نسأل النظام أو نتسائل ، إن كانت الروح هى التى تفعل وحدها بما لها من قوة واستطاعة فلم يذهب إلى القول بقدرتها على الفعل قبل الفعل وبعدم قدرتها على الفعل حال حدوثه ؟ .

وقد يرد النظام بأن القدرة على الفعل تعنى النية والوجهة على أتيان هذا الفعل ، وحين حدوث هذا الفعل فان النية لاتقدر أن تحول دون حدوثه . ويبدو هـذا الكلام متفقا وسياق مذهبه فى الإدارة الحرة . فهى من ناحية مختارة قادرة مستطيعة للفعل ومن ناحية أخرى مسئولة عن هذا الفعل ، وعلى هذا تسقط منزلة التدبير عن الإنسان إلى الله الذى يحاسبه بما عملت يداه .

ونلمح من خلال الحلول التى عرضها النظام للمشكلة الإنسانية والأخلاقية ،

---

(١) أفلاطون (الأصول الأفلاطونية) دكتور على سامى النشار وآخرون

تتبين الآثار الرواقيـــة والهنديه والأفلاطونية (١) وكانت المذاهب والمدارس السابقة التي تنـاولت المشكلة الأخلاقية قد اجتمعت في رأى النظام حين عمـد إلى صياغة فلسفة الأخلاق .

وواضح أن النظام حين قال بالروح أنكر وجود الحواس المستقلة ، بمعنى أن الروح تدرك المحسوسات من أطراف الحس من فم وأنف وأذن وعين .

وعلى هذا يرى الإنسان يسمع بنفسه وقد يصم لآفة تدخل عليه وكذلك يبصر بنفسه وقد يعمى لآفة تدخل عليه .

أو كيف يدرك الإنسان ، فهو يرى النفس أو القوى البصرية أو البصر يطفر من خلال فتحة العين إلى الصدر أى إلى موضوع الإدراك فتتصل به وتداخـله . وهذا التفسير للمعرفة قد ساد الفكر العلمى بل قال به ابن سينا حين بحث ظاهـرة الضوء . على هذا تتبين موقف النظام من المعرفة قد يعنى من ناحية أخرى موقف من العلم والبحوث العلمية والطبيعية .

ونجد رأيه فى الإدراك يمتزج ويختلط بالاحساس ثم ينتقـــل النظام إلى الاستطاعة عند الإنسان إلى أهم مبدأ من مبادىء الأخلاق وأصل من أصولها .

فالإنسان حى مستطيـع بنفسه ، وتبقى له الاستطاعة على الفعـل قبـل كون الفعل ، ولا يوصف بأنه قادر على الفعل فى حالة وجود الفعل ، وتبقى الاستطاعة على الفعل حتى تحدث بالانسان آفة (٢) .

ومجال الاستطاعة الانسانية هو ماقدره الله للناس ، فالانسان مستطيـع على

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الأشعرى ومقالات الإسلاميين صـ ٢٢٩ .

الأعراض وكلها ترجع إلى الحركة وما عداها فهى أجسام لطيفة ويقـــدر الله الإنسان عليها بقوله :

« لا يجوز أن يقـدر الله سبحانه أحدا إلا على الحركات ، لأنه لاعرض إلا الحركات » و « فأفعال العبد وكلها من جنس واحد هى كلها الحركة » .

ويصنف العلوم والإرادات فى عداد الحركات لأنهما أعراض ، أما الطعوم والأصوات والمعطيات الحسية فهى أجسام متداخلة ولا يجوز أن يفعلها الانسان.

ويورد نصا هو « أن هذه الأفعال جنس واحد وإنمـــا اختلفت لاختلاف أحكامها ، وهى فى الجسم جنس واحد لأنها كلها أفعال الحيوانات ، ولا يفعـــل الحيوان فعلين مختلفين ، كما لا يكون من النار تبريد وتسخين » إذ يدخل نظريته فى طبائع الأشياء فى إطار رد الأفعال إلى أجناس عامة . أى يضع فكرة الكليات من استقرائه لحالات الجزئيات .

وينتقل النظام من البحث إلى المعرفة إلى البحث فى أصول الأحكام الشرعية ، فهو ينكر الأخذ بحجة الاجماع لأنه غير موثوق به ، فقد يجوز إجماع الأمة على الخطأ . كما أحال النظر عن القياس فى المسائل العلمية .

وعلى هـذا نجد جانبا آخر للنظام هو الجانب الأصولى فـله بحوث فى أصول الفقه الذى أثارت ابن حزم وداود من الظاهرية . وهو كذلك يأخذ بمنهج التفسير والتأويل الذاتى والنقد الداخلى للنص .

ونجد النظام يذهب إلى القول بحجة الامامة المؤيدة كالنص والتعيين . وقـد يبدو عليها الأثر الشيعى لاسيما وأن فلسفته الانسانية والأخلاقية تبلورت فى سنى حياته المتأخرة التى كان فيها على صلته بصاحبه الشيعى الذى سبق الاشارة إليه .

وقد أثار النظام مسألة أخرى هى إعجاز القرآن ، وهذه المسألة تتصل بكلام الله وبخلق القرآن الذى ذهبت إليه المعتزلة . والقاضى عبد الجبار (١) ألف فيها كتابا ، ورأى النظام أن الاعجاز يتمثل فى الأخبار عن الغيوب الماضية الآتية على الرغم من أنه كان بالامكان أن يستطيع العباد تأليفه ولكن الله أعجزهم أن يفعلوا هذا حتى ولو أوتوا بلاغة وفصاحة عبقريتين .

واضح أن النظام حاول إقامة فلسفة للدين مرتبطة بفلسفة طبيعية تنادى إلى إلى فلسفة عملية أخلاقية إنسانية وتصل ذروة الفلسفة الأخلاقية إلى الربط بين ميدان الدين والأخلاق وهى أهم الشعارات المعتزلية التى قامت تنادى بمبادئها وأصولها الفكرية ، فمبدأ التوحيد والعدل والحسن والارادة الحرة والخير وفعل الأصلح كلها معانى وتصورات دينية أخلاقية . وكانت حركة الاصلاح التى سعى إليها النظام تمس هذين المجالين ، ولقد أقام المشكلة الأخلاقية على البحث فى ماهية الارادة والحرية والقدرة والاستطاعة ، بينما أقام المشكلة الالهية على البحث فى الله وأزليته ووحدانيته وإرادة التكوين وكان لابد أن يتناول واقع التكوين أو الخلق فأدله البحث إلى الفلسفة الطبيعية .

ويخاص النظام من الروح والطبيعة إذ الارادة والاحساس تصدران من مبدأ أعلى . هذا المبدأ هو الله . والطبيعة مادة وأجسام وموجودات تمتد من الانسان فالحيوان فالنبات فالجمادات ، والمعرفة هى إدراك وتداخل من فعال الروح إلى عالم الأشياء إلى المدركات فتنجم الاحساسات والحركات التى هى مادة

---

(١) عبد الجبار المعتزلى .

* المرجع السابق .

* المرجع السابق .

المعرفة والعلم ، فبفضل قوى الروح ، تبدو فى الأخلاق والمعرفة ودليل وجودها دليل على الله لأن المعرفة حسية وروحية بفضل الروح تنتظم المعرفة الحسية .

وعندما تشعر الارادة بقدرتها واستطاعتها فى المعرفة ، تشعر بالحرية أيضا وعلى هذا تنبعث الحياة الروحية من تداخل الروح الغريبة والمادة . وعلى هذا التداخل والتفاعل تقوم المعرفة وتقوم الأخلاق ويقوم الدين فى حياة الإنسان والتاريخ والمجتمع .

ولو رجعنا إلى بوادر الحركة المعتزلية نجد أنه قد سبقها تيارات من الفكر . الجبرية والآلية من ناحية والثانوية والقدرية المغالية للحرية من ناحية أخرى. لقد نجمت هذه الحركة عن عصر تغلبت فيه الحتمية والجبرية والآلية ثم القدرية والارادة والحرية .

وكان موقف النظام على وجه التحديد مزاجا من هذين العنصرين لأنه سيحقق مطلق الايمان شيئا فشيئا ، ويعيش كواقع وجودى فى الحياة العملية فى الأخلاق والمجتمع والمعاملات .

لذا نجد فلسفة النظام فلسفة رابطة صاعدة. تربط بين المشكلة الالهية والمشكلة الانسانية برباط التكوين والخلق والعالم وهى صاعدة إذ تؤمن بالروح الواصلة للعرفان فى نوع من الحدث الذوق الصوفى ، لأن الشعور بالحرية والارادة فى الطبيعة والأخلاق أو صور الحياة الروحية . وليس غريبا أن يلجأ إلى الطمأنينة

---

(١) منبعا الدين والأخلاق لبرغسون .
(٢) المشكلة الاخلاقية لينه .
(٣) الاخلاق لاحمد أمين .

الفكرية والإيمان القلبي . فقد عاش فى عصر (١) تمـــزق وصراعات وخلافات وقلاقل ، ولمس تيارات ونزعات فلسفية وألوان من طرز التفكير وأنماط متناقضة، جعلته ينزع إلى الوحدة إلى التوحيد فى الدين وفى الأخلاق وفى إقامـــة مذهب موحد تمحى فيه متناقضات الوجود والمعرفة ، الأخلاق والدين، العلم والإنسان، والإنسان والله .

لقد أدرك النظام من خلال اطلاعه وصلته بالفلاسفـة أن الفلسفة بصورتهـا الوثيقة عاجزة كل العجز عن تفسير المشكلة الدينية والمشكلة الأخلاقية (٢) أيضا . إذ أنها تعجز ولا تحل خروج الكثرة والعالم والموجودات من الواحـــد المنزه المطلق ، وعلى هذا لم تستطع تقديم الحلول ، وليس ثمـة حل سوى الاعتقـاد بالله الواحد الخالق المهيمن العادل الصمد. وعلى هذا فالأخلاق تؤدى إلى الدين والدين يؤدى إلى الفلسفة والفلسفة موقف إيجابى يمنح الإنسان الإيمان والفهم ويخلصه من النزعات المتعارضة والصراعات والشكوك التى قد تمهد له طريق الكبائر .

ولو وقفنا أمام بحث النظام للمسائل الأخلاقية ، نجـــد أنه تناول المشكلة الأخلاقية من حيث ارتباطها بالدين وتقرير المشرع للمبادىء الإخلاقيـــة ؟ ثم يتبادل ناحية الفعل الاخلاقى فى بواعثه ونتائجه ولا يفوته أن يبين أداة ووسائل الفعل الاخلاقى من روح وإرادة حرة واستطاعه واختيـار وقدرة على الفعـل ، وقد حدد مجال الفعل الذى اقدر الله الإنسان عليه ، بأنه الفعل المتصل بالحركات. يتحقق فيه حرية الإنسان وإرادته ثم يأتى النظام بمبـدأ أخـلاقى يرتبط بالفعـل

---

(١) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى
دكتور حسن ابراهيم حسن . مجلد الأول جـ ١ والمجلد الثانى
(٢) هيا كل النور د. محمد على أبو ريان

الأخلاق هو الدفاع والنضال والإيجابية والتضحية التى أقرها الشرع ويتبصرها العقل وتريدها النفس . من أجل تحقيق العدالة فى الأرض واحقاقا للحق على مثال العدالة الإلهية وحسب مبدأ الوعد والوعيد .

وعلى هذا يتخذ من الدين منبعا صافيا لمبادىء الأخلاق ويسعى لتحقيقها بإيمان مخلص وباقتناع لايتزعزع .

ولد تحددت فيما بعد أصول التشريع وفقه المعاملات فى الإسلام فى ضوء لفارة المسئولية المحددة فى الشرع المتحققة فى المجتمع .

وحبذا لو تبينا أن تاريخ القانون والتشريع الإسلامى قد أولى إهتمامه نحـــو المعاملات ونحو الميدان الأخلاقى والاجتماعى والسياسى الذى أبرزه من قبل رواد الحركة الفكرية الأصيلة فى الأسلام أمثال النظام .

بل أن التشريع أن فى جزئياته وان فى كلياته يعنى بهذه المبادىء الاخلاقية والدينية فى المعاملات، فالمعنى الاصطلاحى فى القانون والتشريع العام والخاص(٢)

وحين يتناول النظام المشكلة الإنسانية والاخلاق يرى فى الإنسان والحركة والارادة المستمرة وألوان الشقاء والباطل والظلم لذا يسعى إلى فضيلة العـدل التى هى بثق وامتداد للعدالة الالهية ، والإنسان أى الروح المريدة المختارة تبحث عن العدالة ولا تقبل الخضوع للظلم . وفى طفرة يحقق روحه دينا لحريته والمثـال الذى يتصوره النظام لمملكة الأرض هو انعكاس وتحقيق لمملكة السماء .

فمبدأ الحق حين يسود بين بنى الإنسان يحقق العدالة الاجتماعيـــة وهى على صورة للعدل الالهى .

---

(١) التشريع والمعاملات فى الفقه الإسلامى

(٢) المصدر السابق

الانسان في مشكلته يشعر بحريته وباستطاعته على الحركة والفعل وأمام اللامتناهي الذي يحيط بالموجودات وأمامه الموجودات التي تنقسم وتتجزأ كاللامتناهي .

فالانسان في موقف عاجز ، ولو أنه يملك الارادة والحرية . إذ لايعلم موضع الارادة والفعل الحر فيفعله . لذا نجده يدأب على الشك ويسعى إلى اليقين ولا يمكنه أن يبلغ الحقيقة إلا بمنهج الدين والاخلاق فهي مفتاح العقول والقلوب ، مخاطب الأرواح والعقول والآذان ، فالعقل وحده عاجز عن البرهنة على الوصول للايمان وإلى الدين والقلب وحده فحدوده مقيدة طويلة مجهدة وسفر متعب والأذن وحدها قد تسمع وقد تتأثر ولكن شتان بين السمع ودوام التأثر .

وعلى هذا فهناك سبيل واحد وطريق يقدمه النظام يسلكه السالكون .

بقي أمر أخير هو هل هناك أثر أو شبه بين ماجاء به النظام وبين الرواقية والأفلاطونية وغيرها من الفلسفات التي يرجح أنه كان على علم بها أو أنه قد أطلع عليها حين كان يطلب العلم في حياته المبكرة ، والتي قد تكون مشكلته من الناحية الثقافية فجاءت آرائه وأفكاره على نمطها أو أخذ بجزئياتها أو بكلياتها ؟ .

هذا الأمر يتضح من خلال الفكرة الأساسية لمذهب النظام كرائد من رواد الفكر المعتزلي والإسلامي من ناحية ومن ناحية أخرى أهم آراءه وأفكاره التي تتشابه أو يرجح أنه قد أخذها عن الرواقية والأفلاطونية أو المانوية ، وبهذا فقط يمكن عقد المقارنة والتحقق العلمي ، حتى يمكن أن نقرر رأيا عن النظام بقطع النظر عن الدوافع الذاتية للبحث أو لاعتبارات المتعة الذهنية ومهارة الاستنتاج العلمي .

صحيح أن النظام يتناول في فلسفته الكلامية ، المشكلة الالهية وتكلم عن

الواحد . الأمر الذى قد يقترب من فكرة الأفلاطونية (١) المحدثة عندما تكلمت عن الواحد أو الأول . وصحيح أيضا أنه تكلم عن الكون وصدور الموجودات وهذا أيضا يقترب من فكرة الصدور عند أفلوطين وفيلون ونحن نعلم أن النظام قد يكون تأثر بمنهج التفسير والتأويل الدينى عند فيلون السكندرى وكان التجربة الفكرية التى عاشها النظام هى التجربة التى عاشها فيلون فقد تذبذب فيلون بين الله المشخص التى تقول بها الموسوية وبين فكرة الله المجرد . وتأثر فيلون بالأفلاطونية التصورية وبالرواقية الديناميكية .

وحين عالج مشكلة التعدد وصدور المخلوقات كان غامضا فى ذلك ، ولكن النظام حين عالج مشكلة الخلق وإرادة التكوين تجاوز فكرة الوسائط التى عرفتها من قبل الفلسفة الأفلاطونية واختلف أيضا عن الأفلاطونية فى نظرتها السحرية الصوفية ولجأ إلى المعرفة والعلم والعمل لحل المشكلة الدينية .

ولكن قد يكون رأى النظام يقترب من أصحاب النصوص فقد قال قلمنتينوس بأن الله لا يمكن ينعت ولا يمكن أن يوصف ، وهنا تجريد وتنزيه ولكن النظام يختلف عنهم فى أن إرادة التكوين والخلق والوجود لا تنفصل عن ذات الله . ونحن نعلم أن هناك وجه شبه بين فلسفات الأديان المختلفة فى بعض التصورات الدينية العامة .

فحين تناول فيلون السكندرى المشكلة الإلهية فى إطارها الدينى الفلسفى تأدى إلى نتائج يمكنه القول بأنها تشبه إلى حد كبير التى وصل إليها النظام فى بحثه للمشكلة الإلهية .

ولكن هناك أمر يختلف فيه النظام عن الأفلاطونية المحدثة بصدد فكرة

---

(١) فيلون الاسكندرى

الألوهية فهى فى رأى النظام إيمان وعقيدة وتقوم عليها الأخلاق الإنسانية بينما تذهب الأفلاطونية الحديثة إلى أن التصوف والكشف والوجدان والتجربة الدينية تقوم على فكرة الالوهية . وقد سلبت أفلاطونية عن الله الصفات بما فيها الارادة ، ولكن النظام يرى فى الله إرادة التكوين . وأن كان أفلوطين يرى فكرة الخلق والصدور تتم على أساس فكرة الكمال والخير ، فان النظام يذهب إلى القول بأن الخلق يتم على أساس إرادة التكوين والعدل الالهى وفعل الأصلح .

ويقترب النظام فى قوله بالروح والقوى النفسية التى تعرف بطريق فعاليتها وتداخلها مع موضوعات المعرفة فيكون الاحساس والادراك على هيئة حركات هى مادة المعرفة .

من قول أفلوطين بأن النفس الانسانية تتبع طريقا ذا درجات ثلاث يبدأ بالاحساس فالنظر وينتهى إلى الوجد . وعلى الانسان أن يسعى للخلاص من المحسوس من الجسد لكى ينتهى إلى الوحدة والسكون والطمأنينة .

وواضح أن النظام قد يتفق مع أفلوطين فى إعتبار أن الجسد أو البدن سجنا للروح التى هى مصدر المعرفة والعلم والتى هى ارادة حرة واستطاعة مختارة .

كما توجد مواقف متشابهة بين أعراض النظام عن الاجماع والقياس وبين قول الرواقية بالمعيار الذاتى . وقد أداه ذلك إلى الأخذ بمنهج التأويل والتفسير وهو نقد ذاتى للنص ومعيار منطق ذاتى .

ويتفق مع الرواقية فى القول والاجسام والموجودات المادية ، وكذلك يرى أن المعطيات الحسية أمورا مادية جسيمة فى صورة حركات . والرواقية تذهب هذا المذهب ويتفق النظام مع الرواقية فى كثير من المسائل الأخلاقية فهو يقر مبدأ

الارادة والتى تقول به الرواقية أيضا من أن النية فى العقل كما يهدف الفعل الخير والاصلاح ، وهذا ماتقرره الرواقية أيضا .

ولكن يختلف النظام فى الاطار العام بصدد المشكلة الاخلاقية ، فالرواقية ترى أن الأخلاق تؤدى إلى الزهد بينما يرى النظام أن الأخلاق تؤدى إلى الايمان والتوحيد ، وهناك فارق بين التوحيد ووحدة الوجود ، كما يختلف فى قوله بالارادة الحرة المختارة التى أقدره الله عليها فى أفعاله وحركاته . بينما ترى الرواقية أن الحرية فى مسايرة الطبيعة . وفارق بين منطق الايجابية عند النظام ومنطق الرواقية .

كما أنه ليس غريبا أن يربط النظام بين العلم والمعرفة وبين الاخلاق والفضيلة . وهذا الامر يتفق وما قالته الرواقية أيضا . لأن الروح والقوى النفسية التى تكون المعرفة والعلم تعنى الارادة الحرة والنية فى فعل الأصلح وتحقيق التصورات التى أقرها الشارع من عدل وحق وخير .

قد عرضنا فيما سبق آراء النظام بصدد المشكلات التى اعترضته بالبحث . وقد يكون هناك فائدة موجودة من هذا ، فهو بداية الانطلاقة الفلسفية التى اندفع النظام بها نحو بناء فلسفة للدين تستند إلى الأخلاق .

وعلم الكلام كما شرحه ابن خلدون (٣) ، إنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعين المنحرفين فى الاعتقادات . . وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد » .

---

(١) خريف الفكر اليونانى د. عبد الرحمن بدوى

(٢) الاخلاق الرواقية د. عثمان أمين

(٣) مقدمة ابن خلدون صـ ٤٢٨ وما بعده .

ويتأدى ابن خلدون الاشعرى المذهب إلى عرض المشكلة الالهيـة بقوله (١) « ان الحدوث فى عالم الـكائنات سواء كانت من الذات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب يتقدم عليها بها تقع فى مستقر العادة وعنهـــا يتم كونه . وكل واحد من هـذه الأسباب حادث أيضا فلابد له من مسبب الأسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا اله إلا هو وتلك الأسباب يحار العقل فى ادراكهـا وتعديدها » .

وحين يعرض ابن خلدون المعرفة والايمان لايفوته أن يمدد سبل الايمـان ويوضح نقائصها . وتمدد وسائل إدراك الله . ويقدم خلاصة الفكر المعتزلى بهـذا الصدد فى قوله « واتبع ماأمرك الشارع به من اعتقادك وعملك ، فهو أحرص على سعادتك وأعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق ادراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك ، وليس ذلك بقادح فى العقل ومداركه بل العقـل ميزان صحيح فأحكامـه يقينه لاكذب فيها ، غير أنك لاتطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة .

وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ماوراء طوره فان ذلك طمع فى محال .. لأن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره .. »

ويجمل موقف النظام بقوله « ان المعتبر فى هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذى هو تصديق حكمى ، فإن ذلك من حديث النفس .. والفرق بين الحال والعلم فى العقائد فرق مابين القول والاتصاف » و « الايمان قول وعمل يزيد وينقص » .

وهذا ماذهبت إليه المعتزلة حين تعرضت لمسألة مرتكب الـكبيرة وحكم الايمان والـكفر والمعصية .

---

(١) المقدمة .

وينهى ابن خلدون عرضه القيم ببيان طبيعة علم الكلام ونشأته وتطور البحث فى موضوعاته فيقول (١) « هذه أمهات العقائد الايمانية معللة بأدلتها من الكتاب والسنة .. إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف فى تفاصيل هذه العقائد .. فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل وزيادة إلى النقل فحدث بذلك علم الكلام » .

ولا يفوت ابن خلدون أن يبث دعوته الأشعرية بقوله « .. وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعرى امام المتكلمين فتوسط بين الطرق (٢) ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ماقصره عليه السلف وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه ... »

وأخيرا يعرض ابن خلدون للآثار الفلسفية التى تأثر بها علم الكلام وربما قيل أنه اقتبس من كلام الفلاسفة مقالهم فى الطبيعيات والالهيات « ثم توغل المتأخرون من بعدهم فى مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع فى العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسائل فيها » .

ويدافع ابن خلدون عن موقف علم الكلام والمتكلمين ببيان الفروق العامة فى البحث ودلالتها الشرعية . فيرى أن الفيلسوف فى بحثه للمشكلة الالهية ينظر إلى الوجود من حيث هو وجود على الاطلاق ، وهذا هو الفكر الميتافيزيقى الذى نبذة الفكر الاسلامى برمته . بينما يرى المتكلم أن النظر فى الموجود من حيث يدل على الموجد . كما أن الفلاسفة ينظرون إلى الانسان والجسم من حيث يتحرك ويسكن بينما ينظر المتكلمون إليه من حيث يدل على الفاعل سبحانه تعالى .

---

(١) مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى

ونحن نتبين من حديث ابن خلدون عن علم الكلام ، كيف تطور الفكر المعتزلي والفلسفة النظامية بحيث يمكن القول بأن يتراءى من أوجه الشبه بين مقالات الفلاسفة ومقالات المعتزلة لاسيما النظام انما في حقيقة الأمر خلط كبير قد التبس على الدارسين أمره . من تشابه موضوعات البحث .

واضح إذن اصالة الفكر النظامي وترابطه ، وقد اتضح كيف كان ينتقل النظام من ميدان البحث في الدين إلى الأخلاق إلى العلم والمعرفة ، نجده يتناول الارادة الالهية .. إرادة التكوين ثم الاستطاعة والنفس الحرة المريدة في الأخلاق والعلة والسبب في العلم والمعرفة في ميدان الطبيعة ، والعالم نراه ينتقل من العدل الالهي إلى النهي عن المنكر عملا بقوله تعالى ..

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

بل أن شعارات المعتزله والأصول الأولى للفكر المعتزلي قد ترابطت في نظام فلسفي دقيق عند النظام .

نتبين أمرا من الاهمية بمكان عندما نتعرض لفلسفات الارادة ومنزلة الفكر النظامي من هذه الفلسفات ، ولكي نتبين هذه المنزلة ، فاننا نعرض لفلسفات الارادة في تاريخ الفلسفة الحديثة والتي تمثل مرحلة التفتح والنضج الفلسفي والذي نجد أن النظام قد سبق فلاسفة الارادة أمثال شلنج وشوبنهور (١) . في ابراز مشكلة الارادة في تاريخ الفكر الإنساني في ميدان الدين والاخلاق والطبيعة.

وأساس واختيار رواد الفلاسفة السابقين يرجع إلى أعقاب الحركة المستنيرة

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى

النقدية التى أثارها كانط(١) فى ميدان المعرفة والأخلاق ولأن الملابسات التى سبقت هؤلاء كالتى سبقت النظام فى عصر النداش ونقد وترجمـــة واتصال ثقافى وشك ونزعات وصراعات فكرية ومذهبية انعكست على الحيـــاة الأخلاقية وامتدت جذورها من الدين . ولـكن هذه الفترة المنقلبة المتوترة نجم عنها تاريخ وازدهار وتفتح للفكر وهو تمام ماحدث فى بواكير الحركة المعتزليـة . وكانت الفلسفـة التى ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر فلسفة عملية تجريبية وهى تشبـــه الفلسفة العربيه الاسلامية التى اكتشفت هذا المنهج التجريبى الاستقرائى قبـــل أن تعرفه أوربا ، وعلى هذا فالصلة بين الحركتين الفكريتين عند النظام المعتزلى وعنـــد الفلاسفة النقديين صله وثيقـة تماما . وفلسفة كانط تعتبر نقطة البـداية للحـركة الفلسفية النقدية كتلك الفلسفة التى أقامها النظام .

وليس عجيبا أن نرى أن اهتمام الحركة الفلسفية النقـدية تعنى بأمر الأخـلاق والفلسفة الخلقية كحل عملى للمشكلة الدينية . فقد تأدى كانط من بحثه فى « نقـد العقل الخالص » إلى إمتناع البرهنـة على وجود الله أى العجـز عن حـل المشكلة الدينيـة .

لذا نجـده يجد الخلاص والحل فى نقد العقل العملى الخالص(٢) أى فى الفلسفة الخلقية والاعتراف بالله .

وقد ذهب كانط من عرضه للمشكلة الدينية فى كتابه « محاولة فى نقد كل وحى » وعرضه لجوهر المشكلة ، وهى أن الوحى غير مقبول مالم يعقـــل . ثم تأديه إلى

(١) كانط نقد الفعل النظرى .

(٢) كانط نقد الفعل العملى .

البحث فى المشكلة الاخلاقية فى كتابه (١)

وفكرة الباعث والوازع الاخلاقى نجدها فلسفات الارادة والواجب (٢، ٣) وفلسفة الحق عند هيجل : وهى ليست غريبة ونحن وجدناها من قبل عند المعتزلة والنظام حين قال بمبدأ العدل الاخلاقى وقرر مبدأ النهى عن المنكر أى أنه يشير إلى الوازع الاخلاقى والمسئولية الاخلاقية أى إلى الضمير .

هذا المقوم إرادة حرة وهى التى فيها حاجة أولية للعمل أى أن لهـــا ميلا طبيعيا . أى أن الإرادة حرة غير متناهية فى ذاتها تشعر باللذة . والميل إلى الحرية يرتفع فوق المحسوسات أو بتعبير آخر الميل إلى معرفة ماهيـــة الدين أو فلسفة الدين ، الذى يؤمن الإنسان بالنظام الخلقى وما يتضمنه من واجبات والله الحقيق الحى هو الله الانسان بمعنى ان الله هو النظام الخلقى الذى من علاماته الحـــرية والارادة وعلى هذا فهى تنزيه لوحدانية تتحقق فى العالم .

ولكن المشكلة الدينية والاخلاقية هى شغل شلنج الشاغل حين رأى إقامة فلسفة دينية تتصل والبحوث الفلسفية فى ماهية الحرية الإنسانية أى فى الاخلاق .

ويعبر عن الصراع بين الفكر والوجود أو الروح والطبيعة تلك الثنائية يردها إلى مبدأ أعلى هو الله .

وكما أن إرادة الخلق والتكوين التى قال بها النظام إنما هى قوى الروح التى تتجلى فى المعرفة والعمل والفن من حيث أن المعرفة تحطم جواهر المادة وبفعل العقل تنتظم المعرفة الحسية ويتميز العقل ذاته وبين فعله يصير إرادة محققة عمليا

(١) الفلسفة الخلقية

(٢) فلسفة الحق

(٤) الأخلاق

فهو يشعر بأنه علم وبمعنى آخر هو حرية منعكسة فى التاريخ الإنسانى فى ميدان الأخلاق وفى الطبيعة .

والسبيل الوحيد للوصول إلى صور الحياة الروحية هو الفن والأخلاق والدين ، وهى فلسفة تنتهى إلى تصوف خاتى تقوم بوضع الحلول التى قد تعجز الفلسفة عن تفسيره بصدد مشكلة الالوهية . وعلى هذا رأى شلنج إستحالة إستنباط الكثرة وصدور العالم من الوحده المطلقة من الله وآ من باله هو إرادة أولا وأخــيرا ، إرادة محضة تسبق كل تعقل وكل شعور ، إرادة تنزع لتحقيق وجودها الشخصى والشعور فى حركة دائريه سرمدية تفسرها ، انها علم الأشياء جميعا .

وبهذا انتقل من الفلسفة السلبية إلى الفلسفة الإيجابيـة من المشكلة الدينيـة إلى المشكلة الأخلاقية فيها الحلول الممكنة وفيهـــا الإرادة المحققة فى عالم الدين وعالم الطبيعة وعالم المجتمع .

وتابع هذا التيار الفلسفى أحد مشاهير الفلسفة الالمانية هيجل ، والذى يفيدنا منه .و التطابق الذى أقره بين الفكر والواقع بين الروح المطلق والمجتمـع ، وفى الحركة المستمرة ، فإنه يحاول الاجابة على : كيف يصدر العالم عن المطلق فى ذاته وشعوره والروح لذاته محققة فى المجتمع والدولة .

والروح فى اتحاده الأعلى فى الحياة الروحية محددة فى مجـالات فى المجتمع والدولة .

وبين هذه المجالات معنى مشترك هو الخلق والحرية وكيف تصدر الكثرة عن الواحد . والإنسان له ماهية هى الروح أى الحرية والشعور والإرادة ، وهنا يتفق تماما هيجل مع النظام فى تفسيره للانسان بأنه روح أو قوى النفس الحرة

المريده (١) المختارة التى أقدرها الله على الفعل .

الواضح أن الإنسان روح فى رأى هيجل شعور وإرادة وحرية تختفى فى سلمها الإحساس والادراك والفهم ويظهر من أثر الحرية التى تمنحها الروح الحق حين يمتلك هذه الحرية — ولقد تكلم وافاجن هيجل عن الحق وفلسفته فيما تتحول الحرية إلى حق فتصير قانونا خلقيا أو مثلا أعلا فى الأخلاق والمجتمع وحكم الروح المطلق كاراده تعارض الطغيان والظلم ، ويتجلى الروح المطلق فى إرادة الابتكار الفنى وفى إرادة الفعل الأخلاقى وفى إرادة الموجود .

فالفن ينتقل من الوجود الحسى إلى القيمة المعنوية إدراك الارادة المبتكرة والتى تمثل التصورات والمعانى الروحية وتسمى لادراكها إدراكا ذوقيا شعوريا .

وحين يعجز الشعور عن تصوير المثل الأعلى للارادة والروح المطلق فان هذا هو أصل الدين .

وفى إلمام وربط طريف يحاول هيجل أن يتعرض لنشأة الدين بربطه بين الفن والدين من خلال المراحل الدينية التى بلورت فى النهاية صورة روحية لله ، ولا يخلو مذهب هيجل من نقط ضعف ولكن المهم أن هذه الألوان من طراز التفكير فى العصر الحديث فى تاريخ الفكر والفلسفه قد أداه البحث إلى نتائج كان فلاسفتنا من العرب والمسلمين قد سبقوهم اليها بقرون عديدة .

وجميع هؤلاء الفلاسفة الأوربيين قد أدركوا فكرة الإرادة والحرية وتبدو أنها بعث للفكر المعتزلى على أيدى النظام والجاحظ ومدرسته التى من المرجح أن أوربا قد عرفتها فى بواكير عصر النهضة .

---

(١) فى النفس لأرسطو

وجميع هؤلاء الفلاسفة الأوربيين قد أكدوا فكرة الارادة والحرية وأكدوا أنها بعث للفكر المعتزلى .

ومن بين هؤلاء الفلاسفة الذين تناولوا الارادة كحل لجميع المشكلات الدينية والأخلاقية والفلسفية هو « نيتشه» الذى نظر للعالم والفلسفة نظرة أخلاقية محضة ، فهو يرى العلم كارادة متصورة وهذه الارادة العقلية هى ماتعنيه فى ميدان الأخلاق الإنسانية .

فالعلم إرادة وانفعال ثم إدراك ، تتجلى هذه الارادة العقلية فى الفعل حيث نجد العلة والمعلول ، ولما كانت الحيـــاة شر فالخلاص فى الدين وفى الفن وفى الأخلاق لأن الإرادة الكلية تحقق فى الإنسانية عن طريق التحرر من الشر ومن الألم ويتمتع بالخير والعدل .

ولكن إرادتنا الحياة تؤدى بنا إلى البصر عن الإرادة الكلية ، وعلى هذا فانكارنا للحياة تحقق لنا الفناء والزهد .

وهو أسمى مايمكن أن يبلغه انسان ما .

ومما سبق نتبين أن شوبنهور ينتقـــل من الدين إلى الأخلاق إلى التصوف ، فينقل من الإرادة الجزئية إلى الإرادة الكلية الدائمة .

عرضنا فيما سبق لبعض الآراء التى قال بها فلاسفة محدثين وكان تناولهم لمشكلة الإرادة فيه معالجة أصيلة قد سبقهم إليها النظام والفكر المعتزلى من قبل ولا تعجب لهذه الظاهرة .. فالفكر حلقات متصلة وكل حلقـــة تتسع وتنمو وتزدهر إذا ماتحققت لها عوامل النمو والتفتح .

والفلسفة النظامية إن كانت هناك فلسفة لاتعنى سوى أنها من الأهمية بمكان فى تاريخ الحياة العقلية والروحية فى الإسلام ، بل وفى تاريخ الحضارة العربيـــة

والاسلامية . فالفترة التي عاشها النظام فترة نادرة جمعت من الصراعات الفكرية مااستدعى الحياة الثقافية والعمرانية . من الدين والأخلاق والعلوم والمعرفة وتعبر عن روح العصر والأزمة الدينيـــة والفكرية التي كانت تقلق المفكرين وتثير الخلافات الدينية والسياسية والأخلاقية . فجاءت فلسفة النظام تعبيرا عن تلك المرحلة . فيها إيمان وفكر وعمل وأخلاق وعدل . فهي فلسفة نابعـــة من الواقع الحضاري ... والعقائدي .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هي إرادة نضال ودفاع مجيد عن الدين وعن التيـارات المعارضة له ، وقد استلزم هـذا الدور من النظام منهجا من مناهج التفسير والتأويل (١) . أو محاولة لاستبطان النص الديني وما جاء به الشرع .

ومن خلال الشعارات التي رفـع لواءها المعتزلة والنظام في الفكر نتبين أنها مثل ومعان مستمدة من الشرع ان في كلياته وأن في جزئياته بمعنى أن الأصول الفكرية للحركة المعتزلية والنظامية مستوحاة من الكتاب المقدس ومن السنة النبوية بمنهج عقلي . نتبينها من خـــلال عرض نماذج النصوص الدينية والسنية واستخلاص المبادىء والشعارات التي نادت بها المعتزلة والتي بلورها النظام في فلسفة دينيـــة أخلاقية تسعى للايمان والتوحيد وإقرار العدالة .

وسنورد (٢) في نهاية الدراسة أهم النصوص القرآنية التي تعرض لهـا المعتزلة بالبحث والتفسير والأدلة النصية على بعض المسائل الهامة في علم الكلام والفلسفة الجدليـــة .

---

(١) التفسير والتأويل منهج شيعي في النص الديني والحديث لتنظيم الحكم في العهد الفاطمي .

(٢) نشأة التفسير في الكتب المقدسة د. سيد خليل .

خاتمة الدراسة

فى إيجاز ينبغى أن ننهى هذا البحث ببيـان الخصائص العامـة للأديان والتى تتصل بالمشكلة الالهية التى تعرض لها النظام بالبحث .

حين أراد فلسفة كلامية ، فلسفة للدين تؤمن بالتوحيد وتقول بالعقل .

وهذه الخصائص العامة للاديان إنما تشير إلى الحاجة لظهور الاسلام كرسالة جديدة ، فقد جاء الاسلام والعـالم قد ضل الحق ، فاليهود والنصارى معظمهم قد اتخذوا من دون الله اندادا وأربابا وقالوا بأن المسيح ابن الله وفى بلاد النهرين تألهت الأكاسرة وطغت وتشبهت بالجبروت والسلطان .

وكانت هناك الدعوات والفرق الناشئة منها المانوية وهى دعوة ثانويه تقول بالالهين . اله للخير واله للشر . اله النور واله الظلام .

وكانت أيضا المزدكية وهى دعوة إباحية فى الأخلاقية وفى الدين .

هذا حال الشرق بينما كانت الوثنية تبث سمومهـا من خـــلال بـلاد اليونان والرومان ، فاجتمعوا على الضلالة والبغى والخلاف والنزاع والجدل الأجوف فى الاديرة ، سرعان ماتزلزلت أصول العقيدة الدينية ذاتها وتفشى طاعون الكفر والشرك بالله .

ولم تـكن حاله بلاد العرب فى الجاهلية فى نواحى الحياة المختلفة بأقل من ذلك النقص الروحى وهـــذا العرض العقائدى الذى سادته الفرقة وامتهان الكرامة واهدار المعانى والمثل الانسانيـه تمثلت فى سلوك الجماعـة من إسترقاق ووأد وميسر وخمر .

يعنى أنه سادت الضلالة فى الفكر وعمت القلوب من الايمان فعبدوا الأوثان، واتخذوها من دون الله .. كانت هزيمة الفكر والإيمان .

ولولا هذه الحاجة الملحة ما كان للنور الجديد للاسلام أن يهدى الضالين ويمنح النفس ايمانها والفكر حريته والمجتمع عدله وحقوقه . فأشرق الإسلام ونزل الوحى على رسول الله يبشره بدين عظيم دين يوائم الإنسانية ولا يغفل الحياة الدنيا أو الآخرة عملا بالقول « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً . هذا الحل العادل المعتدل بين حياتين ، حياة الدين والشرع وحياة المعاملة والأخلاق .

ومن جراء هــــذا النور المتوهج بالوحى الالهى . تزعزعت العقائد السالفة الضالة ولم تكن تملك القوة على مقاومة هذا الطوفان المؤمن إلا بالشكوك التافهة والريبـــة فى مجادلاتهم ونقاشهم ... ولكن مالبث أن إرتمى الشرق المقسم فى أحضان بنى العرب والإسلام كما يقول ذلك المؤرخ الايطالى كتيانى (١) .

ولا عجب فى هذا كله فقد قدم لنا الدين الاسلامى من الحلول الدينية والأخلاقية والعلمية مايبصر الأذهان ويمنح النفوس الايمان .

وقد نبذ الاسلام الرق ونادى بالأخوة والانسانية ، وفى هذا يشهد توماس أرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الاسلام (٢) بالدور الانسانى الذى قام به الاسلام من أجل المعانى الأخلاقية المثل الانسانية . وقد ذهب إلى ذلك أيضا (٣) مولاى محمد على .

(١) كتيانى فى كتابه حوليات الإسلام .

(٢) توماس أرنولد الدعوة إلى الاسلام .

(٣) مولاى محمد على (كتابه محمد رسول الله) وهو رئيس الرابطة الاحمدية بالهند

وواضح أن الاسلام قد واجه منذ نزوله العناصر المناوئة التى تشير من حوله الريبة والشكوك فكان هذا مرحلة الانطلاق للدفاع عن الدين فى تيار الفكر الاسلامى باعتباره أحد المقومات الأساسية للحضارة العربية ممثلا فى المتكلمين والمعتزلة ،

وحين نذكر اسم المعتزلة يتبادر إلى ذهننا روادها العظام وأعلامها الكبار أمثال ابراهيم ابن سيار وهو ماكان موضوع بحثنا السابق باعتبار أن التيار الفلسفى المعبر عن الاعتزال لم يخل من اصالة ومن عبقرية فى منهج الدفاع والجدل فى فلسفة الأديان وأن النظام كان طليعة من طلائع المدارس الفكرية المستنيرة النقدية (١) .

أما فيما يخصنى فى البحث ، فلا يرجع إلى أى فضل فى إكتشاف وجود تيارات فكرية وفلسفية ذات منهج جدلى نقدى ، ولا حتى فى إكتشاف الصراع والأزمة القائمة بينها . فقد وصف المؤرخون والمستشرقون والفقهاء والدارسون ، التطور التاريخى والعقلى لهذا الصراع الفكرى ، بينما وصف المذهبيون القوالب الفكرية لهذه التيارات . ولكن الجديد الذى أحاول أن آتى به هو اثبات :—

١ — أن وجود التيارات الفكرية والنقدية فى الإسلام فى عصر النظام كان يرتبط بالمراحل التاريخية والثقافية الخاصة لتطور الدين والمجتمع العربى والحضارة (٢) العربية وانعكس هذا فى فلسفة أحد أعلامها وهو النظام .

٢ — وان الصراع العقائدى يؤدى بالضرورة إلى دوجماتية وديالكتية فى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) أنظر دائرة المعارف الإسلامية د. محمد ثابت الفندى وآخرين .

الفكر وقد تمثلت فى التيار النقدى والفلاسفة الاتجاه الديالكتيكى وبحلقاته الثلاث.

٣ — وإن الفلسفة عند المعتزلة ومنطقها الكلامى النقدى نفسه لم يكن إلا انتقالا نحو إلغاء التيارات الفكرية الأخـــرى التى تصطرع فى المجتمع الإسلامى ونحو انشأة فلسفة عقائدية أساسها كتاب الله وسنته وسول الله .

وهكذا كانت العناصر الفكرية وبواكير الحركة العقلية فى الإسلام منبعا خصيبا لتطور الفلسفة المعتزلية التى لم تقف جامدة بل خالطتها أقوال الفلاسفة والأصوليين وأخوان الصفا . وإن استكمال هذه الفلسفة المعتزلية كان بصورة متكاملة عند النظام ومدرسته والجاحظ وأبو حيان . فقد إعتمـــد النظام على الدين والأخلاق فى الخروج بفلسفة نقدية جديدة أثرت فى ابن رشد تأثيرا كبيرا . ولو أنه ابن رشد قد إنتقل من دور الكلام إلى دور الفلسفة المشائية ، فانه قد انتقل من دور الكلام إلى دور المذهب ، فتناول مسألة التوحيـد والعدل (١) وهى من المسائل الأساسية عند المعتزلة .

ومن الواضح أن ابن رشد كان واسطة بين الفلسفة المشائية والفلسفة الكلامية من ناحية أخرى فى طورها النقدى بمعنى آخـر كان واسطة بين الحضارة العربيـة والحضارة الأوربية وأستاذا للفكر الإسلامى والفكر الأوربى ردحا من الزمان .

وفى الخاتمة بجمـل التنويه إلى المفكرين والشراح المسلمين الذيـن أسهموا بأكبر نصيب وبأوفر ثروة فكرية وتراث إنسانى للحضارة العربية ذاتها وحضارات الأمم الأخرى .

---

(١) من الأصول الأربعة عند المعتزلة.

لعل أهم الدواعى التى أشارت علينا بتناول النظام باعتباره علما من أعـــلام العرب ومفكر معتزلى من الطراز الأول ، هو أنه المرحلة التى يمثلهـــا فى الفكر والعلوم العقلية والنقلية من كلام وفلسفة كلامية قد زاحت الأثر اليونانى عنهـا ، على الرغم من أن هناك من الدارسين من يعترف ويصرح بأن مفكر كأبى هزيل العلاف كان أول متكلم اسلامى تأثر بالفلسفة اليونانية . ونحن نقرر أن النظـام تلميذه ، كان أول مفكر إسلامى قد تعمق الثقافات الأجنبية ولكنهـا لم تصبغـه بصبغتها بل كان أول متكلم إسلامى يمثل تيارا فى الفكر الدينى وفلسفـة الأديان بعيدا عن فلسفـة اليونان . بالاضافة إلى آرائه المستنيرة فى السياسة والأخـلاق والتى يجدر بنا أن نعرض لها ومن خـلال هذا العرض نتبين تطور علم الـكلام وفلسفة الدين فى الاسلام .

لقد تميزت التعاليم الاسلامية برؤية إلى عالم أمثل فى ضوء الامكان الواقعى . . حيث يلتقى عالمى الدنيا والدين . . إن الحل النقدى هذا يضع مثلا يمكن تحقيقها فى عالم الواقع ، بإرادة التغيير المؤمنـة التى تسمى إلى سمو أخلاقيـات الانسان فى مجالات الحياة المترامية الأطراف . ولقد حمل الرسول صلوات الله عليه وسلامـه رسالته الهادفة . وأن يكملها ويحملها قلبا وقالبافنراه يقرر « اليوم أتممت رسالتى » .

وثمة شعارات ينطوى عليها التفسير النقدى للاسلام تستند أساسا إلى العـدالة والفضيـلة .

وقد قال الله تعالى فى كتابه المبين « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا »

أبو حامد الغزالى فى الذكرى المئوية التاسعة لميلاده مارس ١٩٦١

بحث من فلسفة الدين عند الغزالى د. محمد ثابت الفندى صـ ٨٣ إلى ١١٠

إعدلوا هو أقرب للتقوى » ... فالوصاية هنا حرص على العدالة وعدم اشاعة الحرب إلا بمقدار مايدفع الفساد ... فالعقيدة تقر الحرب العادلة للحيلولة دون أن يستشرى الضلال ويسود الفساد بقوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .. ولا يجوز عقلك أو إيمانا أن تنقض الفضيلة حين يكون دافع الفساد عن الأرض فالفضيلة هى مقوم صلاح العالم (١) .

وكرامة الانسان مكفولة فى العقيدة فالقتل محرم فى الاسلام إلا بالحق فالله أحسن تقويم الانسان ووجهه بالعقل ومنحه العقل وزينه بالحواس وأسبغ عليه نعمائه وكرمه ... وجعله خليفة الله فى الأرض .

حيث تقول الآيات الكريمات : « الرحمن ، علم القرآن، خلق الانسان ، علمه البيان » وقوله تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

فالشخصية الانسانية فى العقيدة والتصور الدينى لها مركزها ، فى عالم الدنيا والدين .

وثمة أبعاد ومقررات عقائدية لاتفق بين بنى الانسان فى المعاملة ولاتميز بين أجناس الناس وطبقاتهم بقوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ... فالقيم والمعايير الأخلاقية السائدة دعوة إلى الاخوة والمحبة . والاحاديث النبوية التى توصى الإنسان بالرفق فى المعاملات حتى للحيوان ... ويروى أن أعرابى كان ظامئا من العطش فى الصحراء ثم إرتوى ورأى كلبا ظامئا فأحضر له الماء فى كفه فدخل الجنة .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة المقدمة (السير الكبير للشيبانى)

والدلالة الدينية للآية الكريمة « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » تتضمن التعاون والتكافل الاجتماعي بما يحفظ للمجتمع تماسكه .

وفى جوهر العقيدة إنسجام بين الانسان والفرد وبين الجماعة ، رسم الله حدودها بمنطق العقل وبمعيار المثل ... حسب المبدأ الفقهى لاضرر ولا أضرار ، ومن أبرز الملامح العقائدية وفق النظرة النقدية السياسة الأخلاقية التى فى عالم الفرد وعالم المجتمع وعالم الشعوب ... والمقوم الاخلاقى لحياة الانسان ضرورة محتمة لبقاء ولصالح المجتمع ، وثمة رباط وثيق بين السياسة والاخلاق أو على حد قول المعلم الثانى الفارابى (فى السياسة الفاضلة) .

وعلى امتداد التاريخ فى شرقنا العربى والاسلامى عبر الدارسون بالفكر الدينى ممتزجا بالتصورات الفلسفية العربية التى تسير وفق مقررات العقيدة وطبيعة المرحلة فى اللقاءات والمؤتمرات والبحوث الدينية تقضى بترابط وثيق بين مجالات العلم والدين والفلسفة يربطها وازع الاخلاق فى مجال المجتمع الانسانى وهذا اللقاء والترابط يحدد مسارات التيارات الفكرية المعاصرة فى البلدان الاسلامية والشعوب العربية ... فنجد أن المنهج النقدى الذى أشار أول ماأشار إليه المفكر الكبير ابراهيم بن سيار النظام يمتد حتى يومنا هذا ويكون منهاجا للدارسين والمؤمنين الذين وائموا بين مقتضيات الشرع وحاجات العالم .

---

(١) حقيقة الفلسفات الاسلامية جلال العشرى

(٢) فلسفة وفن ـ التفكير الفلسفى فى مصر المعاصرة ـ د. زكى نجيب محمود .

(٣) مصطفى عبد الرازق تمهيد لتاريخ الفلسفه الاسلامية

(٤) د. ابراهيم بيومى مدكور فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق

(٥) د. أحمد الاهوانى فى عالم الفلسفة

و لقد إقتضى التفسير النقدى للعقيدة أن ينظر إلى مستويات الإيمان والالاله بين منطق العقل بقوله تعالى « . . أفلا تعقلون » و بمنطق القلب والذوق . . بقوله « أفلا تؤمنون . . » و بمنطق الحواس بقوله تعالى « . . فهم لا يبصرون » .

فالنزعات الإنسانيه لاتخرج عن كونها فكراً أو إيماناً أو حسا .

ولشمول الدعوة واتساع آفاقها البعيدة نعرض لهذه المجالات وتضمنها فى أصول الحل النقدى للعقيدة وفقا لرأى السلف الصالح .

والفضل كل الفضل يرجع إلى رائد الحركة النقدية ... المفكر الذائع الصيت ابراهيم بن سيار النظام ... فقد إمتدت أفكاره من خلال آراء تلاميذه ... نخص بالذكر الجاحظ وإن كان له خير منزلة كبيرة وغرم به الدارسون فى الشرق العربى والاسلامى ... سواء كان فى أدبه أو فى فكره أو ترجماته حتى أنه ترك معـــالم المنهاج النقدى الذى تبلور و نما وتكامل عند الدارسين من المهتمون بالفكر المعاصر والفلسفة المعاصرة .

أهم النصوص القرآنية

قال تعالى « ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين إختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد »(١) .

ق — ت « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان إنتهوا فان الله بما يعملون بصير »(٢) .

ق — ت « ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » (٣)

ق — ت « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون » (٤)

ق — ت «وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم تصلحون (٥) .

ق — ت « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير »(٦) .

---

(١) سورة البقرة مسالة خلق القرآن

(٢) سورة الأنفال الدفاع

(٣) سورة الأنفال الاستمساك بالدين

(٤) سورة الأنفال موقف الكافرين

(٥) سورة الأنفال في موقف الدفاع عن الدين

(٦) سورة الأنفال (٧٢) موقف الكافرين

ق — ت « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (١) .

الأمر الأول :

س « الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. » (٢) .

س « أيها الناس ان ربكم واحد واباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى » (٣)

س « وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعدى ان اعتصمتم به . كتاب الله وسنتى وأهل بيتى .. أللهم فاشهد .. » (٤)

ق — ت « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » (٥)

ق — ت « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (٦)

ق — ت « وإذا قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل

---

(١) الأنفال من شعارات المعتزلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
واصل من أصولها التعاقدية .

(٢) خطبة الوداع فى سنة ١١ هـ يوم الجمعة فى القول بالإرادة والعقل .

(٣) « « فى القول بالتوحيد والتنزيه

(٤) « « فى القول بالقرآن والسنة وأهل البيت

(٥) سورة البقرة فى موقف الكافرين من الايمان

(٦) « « فى القول بالعمل ونتيجته

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون » (١)

ق — ت «وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (٢) .

ق — ت « فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣) .

ق — ت « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم» (٤)

ق — ت « بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » (٥) .

ق — ت « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (٦).

---

(١) سورة البقرة في منزلة الانسان والجعل والخلق

(٢) « « في أمر الطاعة والمعصية

(٣) « « في معنى الايمان والكفر

(٤) « « في القول بالقدرة والعلم

(٥) « « في إرادة التكوين

(٦) سورة البقرة في الكتاب المنزل والايمان
الرسالة للتبليغ بالكتاب المنزل ووظيفته التعليمية (بين الدليل النقلى والدليل العقلى) أى بين النص الدين والمنهاج الشرعى .

ق — ت « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك العزيز الحكيم » (١).

ق — ت « وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (٢) .

ق — ت « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون »(٣) .

ق — ت « والهكم إله واحد لاإله إلا هو الرحمن الرحيم »(٤) .

ق — ت « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »(٥) .

ق — ت « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد » (٦) .

---

(١) سورة البقرة نفس المرجع السابق
(٢) « « فى المنزلة بين المنزلين
(٣) « « فى القول بالكتاب والعقل والمعرفة والنبوة
(٤) « « فى القول بالتوحيد
(٥) « « فى الدليل النصى والعقلى والكسمولوجى
(٦) « « فى القول بالإرادة الإلهية

ق — ت « الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنـــة ولا نوم له مافى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » (١) .

ق — ت « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطـاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (٢) .

ق — ت « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النـــور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٣) .

ق — ت « وإذا قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولـكن ليطمئن قلبى » (٤) .

ق — ت « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم نصرة منه وفضلا والله واسع عليم » (٥) .

ق — ت « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحـكمة فقد أوتى خيراً كثـيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب » (٦) .

---

(١) سورة البقرة فى القول بالتوحيد

(٢) « « فى القول بالحرية والاعتقاد

(٣) « « فى الإيمان والـكفر

(٤) « « فى الشك واليقين

(٥) « « فى الخير والشر

(٦) « « فى منزلة الحـكمة والمشيئة الالهية

ق — ت « وما تنفقون من خير فلأنفسكم ... »(١).

ق — ت « لايكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »(٢).

ق — ت « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل »(٣)

ق — ت « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب » (٤).

ق — ت « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » (٥).

ق — ت « إن منهم من يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »(٦).

ق — ت « ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »(٧).

---

(١) سورة البقرة فى القول بالمسئولية والجزاء
(٢) « « فى القول بالعمل والمسئولية الإنسانية
(٣) « آل عمران فى الدليل القرآنى
(٤) « « فى الايمان والعقل
(٥) « « فى الايمان بالدليل الحسن
(٦) « « فى تبليس ابليس فى الكتب المقدسة
(٧) « « فى النبوة والايمان

ق — ت « ولا يأمركم أن تتخـــذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »(١) .

ق — ت « قل آمنا بالله وما أنزل علينـــا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسبـاط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٢).

ق — ت « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخـرة من الخاسرين » (٣).

ق — ت « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليـكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفـا حفرة من من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لـكم آياته لعلـكم تهتدون »(٤) .

ق — ت « تلك آيات الله نتلوها عليـك بالحـق وما الله يريد ظلمـــا للعالمين »(٥) .

ق — ت « كنتم خير أمـة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الـكتـاب لـكان خيرا لهم منهم المؤمنون

---

(١) سورة آل عمران فى التوحيد وعدم الشرك آية ٨٠

(٢) ,, ,, فى العقائد السابقة والاسلام آية ٨٤

(٣) ,, ,, فى ثمرة الايمان بالاسلام آية ١٤٩

(٤) ,, ,, فى الوحدة فى الايمان

(٥) ,, ,, فى منزلة الحق من الدين آية ١١٠

وأكثرهم الفاسقون» (١) .

ق - ت « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ، يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » (٢) .

ق — ت « واعبدوا ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا »(٣) .

ق - ت « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن تطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا »(٤).

ق — ت « إن الله أن يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا » (٥) .

ق — ت « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (٦).

---

(١) سورة آل عمران فى أمة المسلمين وأهل الكتاب
(٢) ,, ,, فى الإنسان وقوته
(٣) ,, ,, الايمان والأسرة والمجتمع .
(٤) ,, ,, فى الايمان والعقل وذكر نكبة اليهود
(٥) ,, ,, فى القول بالامانة والعدل فى الحكم
(٦) ,, ,, فى أحسن التشريع القانونى والمدنى

ق — ت « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »(١).

ق — ت « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين » (٢) .

ق — ت « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون »(٣) .

ق — ت « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٤) .

ق — ت « والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون » (٥) .

ق — ت « وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلايعلمها ولاحبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » (٦) .

ق — ت « ... لقد جاءت رسل ربنا بالحق ... (٧).

(١) سورة آل عمران فى ثمرة الطاعة والايمان
(٢) „ „ فى أفعالنا علمنا عند الله سبحانه
(٣) „ المائدة فى دلائل الاعجاز
(٤) „ آل عمران فى الايمان بالرسل
(٥) „ الأنعام فى الرسل والتابعين
(٦) „ „ فى العلم الالهى
(٧) „ الأعراف فى الرسالة الحقة للديانات

ق — ت « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون » (١) .

ق — ت « قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ...»(١) .

ق — ت « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » (٣)

ق — ت « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إن ربى غفور رحيم »(٤) .

ق — ت « ألم تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لايؤمنون ... الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ، وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهار ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٥) .

ق — ت « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٦) .

ق — ت « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »(٧) .

---

(١) سورة الأنفال فى العقل بين الكائنات

(٢) « يونس فى الرد على اليسوية

(٣) « هود فى القضاء بين الأمم ونزاعها

(٤) « يوسف فى التوبة والمعصية

(٥) سورة الرعد فى أيات الله البينات ومنزلة العقل الانسانى من الايمان

(٦) « « فى علم الغيب وعلم المحسوس

(٧) « « فى إرادة الثورة والاصلاح

ق — ت « وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ... له دعوة الحق ...»(١)

ق — ت « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما نزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه ادعوا وإليه متاب»(٢)

ق — ت « والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون »(٣) .

ق — ت « إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون»(٤)

ق — ت « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون »(٥)

ق — ت « ولو شاءالله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون »(٦)

ق — ت « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ... ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون

---

(١) « « فى الجدل فى الله

(٢) « « فى العبادة والايمان بالاسلام

(٣) « النحل فى الرد على المنكرين للخالق

(٤) « « فى التوحيد والايمان

(٥) « « فى المثل العليا الإنسانية والله

(٦) « « فى العرب والقرآن

إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » (١)

ق — ت « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا(٢)

ق — ت « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ... والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ... ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون... ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ...إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون (٣)

ق — ت « الله لاإله إلا هو له الأسماء الحسنى » (٤)

ق — ت « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى »(٥)

ق — ت « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . . وما ذلك على الله بعزيز »(٦)

ق — ت « إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير »(٧)

---

(١) سورة الاسراء فى القرآن والمؤمنون به
(٢) « النحل فى المبادىء الأخلاقية والدين
(٣) « مريم فى المسيحية وحقيقة التوحيد
(٤) « طه فى الله وأسمائه
(٥) « « فى يوم الحساب
(٦) « فاطمة فى العجز الانسانى والقدرة الالهية
(٧) « « فى الدين ودعوة الحق

ق — ت « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفا إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لايهدى من هو كذاب كفار » (١)

ق — ت « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » (٢)

ق — ت « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير » (٣)

ق — ت « والظالمون مالهم من ولى ولا نصير » (٤)

ق — ت « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » (٥)

ق — ت « وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب » (٦)

ق — ت « وما جعلنا بكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » (٧)

---

(١) سورة غافر فى الايمان بالله حق
(٢) « « فى الحمد لله والحق الالهى
(٣) « الشورى فى العربية والقرآن
(٤) « « فى أن الظلم لاشفيع له
(٥) « « فى التشريع الدينى وأصوله
(٦) « « فى العلم وقدرة الايمان والشك
(٧) « « فى الكسب والعمل

ق — ت « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظالمين (١)

ق — ت « انما السبيل على الذين يظلمون النـاس ويبغون في الأرض بغـير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٢)

ق — ت « إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلـكم تعقلون (٣)

ق — ت « إنمـا المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخـويكم واتقوا الله لعلـكم ترحمون (٤)

ق — ت « يا أيهـا الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيـــه ميتـا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (٥)

ق — ت « هـــل جـزاء الإحسان إلا الاحسان . . فبـأى آلاء ربـكما تكذبان (٦)

ق — ت « ... خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير (٧)

---

(١) سورة الشورى فى الظلم والتقبيح
(٢) « « فى العذاب الالهى
(٣) « الزخرف فى القرآن والعقل والايمان
(٤) « الحجرات فى الأخوة بين المسلمين
(٥) « « فى الظن مكروه
(٦) « الواقعة فى ثمرة الاحسان
(٧) « التغابن فى الحق والمخلوقات

ق — ت « إنهم كانوا لا يرجون حسابا . . وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا . . إن للمتقين مفازا . . ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا . . إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا »(١)

ق - ت « بل هو قرآن مجيد . . في لوح محفوظ »(٢)

ق — ت « انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا »(٣)

ق — ت « بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى »(٤)

ق ت « إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق إقــرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم »(٥)

ق - ت « لم يكن الذين كفروا من أهـل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . . رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة »(٦)

---

(١) سورة النبأ في الندم
(٢) « البروج في القرآن وخلقه
(٣) « الطارق في الكفر والعقاب
(٤) « الأعلى في الحياة الدنيا والآخرة
(٥) « الفلق في العلم والخلق
(٦) « البينة في الرسالة والدعوة والايمان

ق - ت « ان الذين كفروا من أهـــل الـكتاب والمشتركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية . . ان الذين آمنوا وعمـلوا الصالحات أولئك هم خير البرية (١)

ق — ت « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره(٢)

ق — ت « ان الانسان لفى خسر إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر(٣)

---

(١) سورة البينة فى الايمان والـكفر

(٢) « الزلزلة فى العمل والـكسب

(٣) « العصر فى الانسان والايمان

المراجع والمصادر

١ — طه المدور في كتابه بين الديانات والحضارات ، طبعة بيروت ١٩٥٦ صفحة ١٢ الفصل الثانى) .

٢ — بولتزير ترجمة المهدوى فى كتاب أسس الفلسفة جـ ١ .

٣ — فلسفة المعتزلة د. ألبير نصرى .

٤ — الخياط فى الانتصار فى رده على ابن الروندى .

٥ — مقدمة ابن خلدون من كتابه العبر والمبتدأ والخبر فى أخبار العجم والبربر ومن صاحبهم من ذوى السلطان الأكبر .

٦ — محمد عبده فى رسالة التوحيد .

٧ — الدكتور عبد القادر حاتم فى مقاله عن الموالى ودورهم فى الحضارة والدولة الإسلامية وبين الشعوبية .

٨ — جولد تسهير (فى العقيدة والشريعة) .

٩ — (العلاف) للاستاذ على مصطفى الغرابى

١٠ — الغزالى فى ذكراه — بحث الدكتور محمد ثابت الفنـــدى عن فلسفة الأديان .

١١ — الدكتور أبو العلا عفيفى فى كتابه المنطق التوجيهى المقدمة .

١٢ — ابراهيم بيومى مدكور فى كتابه الفرنسى عن أوسطو عند العرب .

١٣ - دكتور على سامى النشار فى مناهج البحث عن مفكرى الإسلام .

١٤ - خالد محمد خالد من هنا نبدأ .

١٥ - دكتور محمد يوسف موسى فى كتابه ابن تيمية .

١٦ - أرسطو عند العرب د. عبد الرحمن بدوى .

١٧ - الجاحظ فى البيان والتبيين .

١٨ - البغدادى فى المعتبر والفرق بين الفرق .

١٩ - تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والاجتماعى والدينى فى العصر السياسى الثانى للاستاذ حسن ابراهيم حسن .

٢٠ - نشأه التفكير الفلسفى فى الاسلام دكتور على النشار .

٢١ - ديبور . تاريخ الفلسفة الاسلامية د. أبو ريدة .

٢٢ - مقال بمجلة كلية الآداب د. محمد على أبو ريان البغدادى .

٢٣ - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا .

٢٤ - الغزالى فى الاحياء

٢٥ - الفرق بين الفرق للبغدادى تحقيق د. النشار .

٢٦ - الفهرست لابن النديم .

٢٧ - الكامل للمبرد .

٢٨ - نشأة التفسير والتأويل فى الكتب المقدسة دكتور سيد احمد خليل .

٢٦ - الجانب الالهى من الفكر الاسلامى د. محمد البهى .

٣٠ - تحقيق ما للهند مقالة فى العقل أو مرذلة كتاب لصاحبه البوهرنى .

٣١ — المستصفى للغزالى صـ ٣٨٧ .

٣٢ — المسائل والأجوبة صـ ٨ .

٣٣ — فقه المعاملات .

٣٤ — مجموع الوسائل والمسائل جـ ١ صـ ١٩٣ مطبعة المقار .

٣٥ — الجاحظ البيان والتبيين جـ ٢ .

٣٦ — أصول التفسير صـ ١٩ طبعة دمشق سنة ١٩٣٦ .

٣٧ — الشهرستانى والملل والنحل صـ ٣٨

٣٨ — الفلسفة الرواقية دكتور عثمان أمين

٣٩ — فى محاورة أفلاطون الخـالدة — فيدون (محاورات أفلاطون د. زكى نجيب محمود)

٤٠ — فلسفة المعتزلة وأيضا فلسفة المعتزلة للدكتور البير نصرى

٤١ — فلسفة المعتزلة د. البير نصرى طبعة بيروت .

٤٢ — الحضارة الاسلاميـة (أحاديث إذاعية — طبعـة وزارة الثقـافة د . محمد خلف الله أحمد

٤٣ — الانتصار والرد على ابن الروندى للخياط المعتزلى

٤٤ — فلسفه المحدثين والمعاصرين وولف ترجمة أبو العلا عفيفى

٤٥ — النظام د. محمد عبد الهادى أبو ريده

٤٦ — ابن حزم

٤٧ — المواقف للايجى

٤٨ — الملل والنحل للشهرستانى صـ ١٣

٤٩ — ابن الروندى فى كتابه فضيحة المعتزلة

٥٠ — عصر المأمون فريد وجـــدى جـ ١ ، جـ ٢ ، جـ ٣ المجلدات الأول والثانى والثالث

٥١ — تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم صـ ٣٠ وما بعدها حتى صـ ٤١

٥٢ — نشأة الفكر الفلسفى الاستاذ الدكتور محمد على أبو ريان جـ ١

٥٣ — الأشاعرة فى كتابه مقالات الإسلاميين ص ٣٢٥

٥٤ — مناهج البحث عند مفكرى الإسلام د. على النشار

٥٥ — الأحلام عند مفكرى الاسلام دكتور توفيق الطويل المقدمة

٥٦ — الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه (الوحى والدين والشريعـــه « مقدمة »)

٥٧ — أفلاطون (الأصول الأفلاطونية) دكتور على سامى النشار وآخرون

٥٨ — عبد الجبار المعتزلى

٥٩ — منبعا الدين والأخلاق لبرغسون

٦٠ — المشكلة الأخلاقية

٦١ — الأخلاق لأحمد أمين

٦٢ — هيا كل النور د. محمد على أبو ريان

٦٣ — التشريع والمعاملات فى الفقه الإسلامى

٦٤ — دكتور عثمان أمين الجوانية

٦٥ — الفلسفة الاشراقية دكتور محمد على أبو ريان

٦٦ — كانط نقد العقل النظرى

٦٨ — الأخلاق سانتهلير (ترجمة أحمد لطفى السيد) من الفرنسية إلى العربيــة

٦٩ — فى النفس لأرسطو

٧٠ — كيتانى فى كتابه حوليات الإسلام

٧١ — توماس أرنولد الدعوة إلى الإسلام

٧٢ — دائرة المعارف الاسلامية دكتور محمد ثابت الفندى وآخرين

٧٣ — أبو حامد الغزالى فى الذكرى المئوية التاسعة لميلاده مارس ١٩٦١

٧٤ — من فلسفة الدين عند الغزالى دكتور محمد ثابت الفندى ص ٨٣ إلى ١١٠

٧٥ — الشيخ محمد أبو زهرة المقدمة (السير الكبير للشيبانى)

٧٦ — حقيقة الفلسفات الاسلامية - جلال العشرى

٧٧ — فلسفة وفن — التفكير الفلسفى فى مصر المعاصــرة دكتور زكى نجيب محمود

٧٨ — مصطفى عبد الرازق تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية

٧٩ — دكتور ابراهيم بيومى مدكور فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق

٨٠ — دكتور أحمد الأهوانى فى عالم الفلسفة

٨١ — دائرة المعارف الإسلامية

٨٢ — مقال أفق جديدة (مجلة الفكر المعاصر عـــدد مارس ١٩٦٥)
دكتور فؤاد زكريا

٨٣ — مقال فلسفة الحضارة (مجلة الفكر المعاصر عـــدد مارس ١٩٦٥
على أدهم .

٨٤ — محاضرات فى الفلسفة الاسلامية
د. جلال شرف

٨٥ — الحكومة الباطنية
د. حسن الشرقاوى

شكر وتقدير

فهرست الكتاب

صفحة

مطبعـة فينـوس
٢٥ شـــارع الملك الاشـرف
براغب باشا اسكندرية